

وزارة التربية
فنون البلاغة
الجزء الأول
للصف الحادي عشر
الطبعة الثانية
المرحلة الثانوية

الطبعة الثانية
١٤٣٢ - ١٤٣٣ هـ
٢٠١١ - ٢٠١٢ م

تأليف

د. نوري يوسف الوتار (مشرفاً)

د. محمد طاهر الحمصي — أ. عبدالله الخضري
أ. سالم رجب الأنصاري — أ. فؤاد عبدالفتاح الحداد
أ. رجب حسن العلوش — أ. نجيبة مندني
أ. بدرية دهراب — أ. عواطف عبدالحميد مرعي



الجزء الأول

للصف الحادي عشر

الطبعة الأولى : ٢٠٠١ - ٢٠٠٢ م
٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ م
الطبعة الثانية : ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ م
٢٠٠٩ - ٢٠١٠ م
٢٠١٠ - ٢٠١١ م
٢٠١١ - ٢٠١٢ م

أعضاء لجنة المواءمة:

أ. عائشة عبدالمحسن الروضان	الموجه العام للغة العربية	رئيساً
أ. خولة عبداللطيف العتيقي	الموجهة الأولى - منطقة الفروانية	عضواً
أ. سميرة عبدالقادر اليعقوب	الموجهة الأولى - منطقة العاصمة	عضواً
أ. مكية إبراهيم الحاج	الموجهة الأولى - إدارة التعليم الخاص	عضواً
أ. عبدالعظيم علي محمد	موجه فني - منطقة العاصمة	عضواً
أ. فريدة يوسف محمد	موجهة فنية - منطقة الأحمدي	عضواً
أ. رجب حسن علوش	موجه فني - منطقة مبارك الكبير	عضواً
أ. بدرية سلطان دهراب	موجهة فنية - إدارة التعليم الخاص	عضواً
أ. جهاد سالم الحجيلي	موجه فني - منطقة حولي	عضواً
أ. فوزية محمد الزامل	موجهة فنية - منطقة الفروانية	عضواً
أ. نجيبة حاجي مندني	موجهة فنية - منطقة مبارك الكبير	عضواً
أ. عدنان بلبل الجابر	موجه فني - منطقة الفروانية	عضواً
أ. فاروق سعيد الزين	موجه فني - منطقة مبارك الكبير	عضواً
أ. صبر سمير العنزي	موجه فني - إدارة التعليم الخاص	عضواً
أ. فضة مرزوق المطيري	باحثة تربوية - إدارة تطوير المناهج	عضواً ومقرراً

تم التعديل بناء على توصيات لجنة مواءمة كتب اللغة العربية مع السلم التعليمي الجديد ونظام التعليم الثانوي الموحد للعام الدراسي ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦م الصادر قرار تشكيلها في ١٢/ ١٢/ ٢٠٠٤م تحت رقم ١٣٢٥٢.


بسم الله الرحمن الرحيم



صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح

أمير دولة الكويت



سمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح

ولي عهد دولة الكويت





المقدمة

أبناءنا الطلاب، أبناءَ العربية التي شرُفت بكلامِ ربِّ العالمين الذي أنزله إلى الإنسِ والجنّ كلِّهم أجمعين، لتبقى خالدةً إلى يومِ الدين - لقد آنَ لكم أنْ تُجيبوا صريخَ لغتكم، وأنتم مقبلون على عصرٍ تتصارعُ فيه الثقافاتِ، ليسوءَ منها ما يجد الحماةُ من أبنائه.

وإذا كانت الحضاراتُ السابقةُ على الإسلامِ قد تركت للإنسانيةِ آثاراً شاخصةً تحكي جهودَ البشرية في تطويعِ المادةِ وتسخيرِها لنفْعِ الإنسانِ - فقد تركَ العربُ والمسلمون كنزاً من الكلامِ يحوي خبرةَ الإنسانِ وحنينَه إلى ترقيةِ الحياة، وحَسْبُ ذلك الكنزِ أن توّجَهُ الله بكلامِه الذي لا ينقضي عجائبُه، ولا يَخلَق على كثرةِ الرد.

وإذا كانَ أحرصُ الناسِ على الأشياءِ من يعرفُ قدرَها فإنّا نضعُ بينَ أيديكم هذا الكتابَ لتتعرّفوا من خلالِه شيئاً من سحرِ البيانِ في لغتِكم الشريفة، علّه بما يقدّمُ إليكم من خبرةٍ بتذوقِ العبارةِ العربيةِ يعينُكم على أن تضيفوا إلى تراثِ أمتِكم إبداعاً يقيه الإهمالَ، وأن تُخرجوا إلى الدنيا ميراثَ آبائِكم وقد نفضتم عنه غبارَ الزمنِ الذي لم ينلْ منه شيئاً وإن بقيَ مطموراً تحتَ ركامِ الأرضِ أحقاباً ما كانَ لها أن تنتهيَ بغيرِ حنينِكم إليه، وإقبالكم عليه عارفينَ قدرَه، ممتلكينَ أسبابَ رعايته، وإنه لجديرٌ بإقبالِكم عليه، ورعايتِكم له، فبه سادَ آباؤكم، وبإهمالِه قد كانَ ما تعلمون.

هذا الكتابُ حلقةٌ في سلسلةِ كتبِ البلاغةِ والنقد، يبحثُ في الخبرِ والإنشاءِ، مهّدْنا له بتعريفِ كلٍّ من البلاغةِ والفصاحةِ والنقد، ثم بدأنا بحث موضوعِه بموازنةٍ بين الخبرِ والإنشاءِ تُفضي إلى تحديدِ كلٍّ منها على أساسٍ من المناقشةِ والاستنتاج، ثم عرضنا لكلا الأسلوبين بالتفصيلِ من خلالِ أمثلةٍ من القرآنِ الكريمِ والحديثِ الشريفِ والشعرِ والنثر، تناولناها بالبحثِ وصولاً إلى القواعدِ حريصين على إرهافِ الحسِّ النقديّ للطالبِ وتنميةِ قدرتِه على

التذوقِ الفني وأتبعنا كلَّ بحثٍ بتدريبٍ يرسّخ المفاهيمَ المكتسبة.

وإيماناً منّا بأثرِ التدريبِ في تعميقِ المفاهيم، وإدراكاً منّا لحاجةِ التذوقِ الفنيِّ إلى كثيرٍ من الدربةِ والمرانة ذيّلنا كلَّ فصلٍ من فصولِ الكتابِ بتدريبٍ يعني بتنمية مهاراتِ التذوقِ الفنيِّ وإدراكِ مواطنِ الجمالِ في التعبيرِ الأدبيِّ رعايةً لملكاتِ الطلابِ الإبداعية.

وإنّا لنرجو من أبنائنا الطلابِ أن يسعَوْا إلى تطبيقِ مباحث هذا الكتابِ على النصوصِ الأدبيةِ المقررة، وأن يوظفوا ما أضافهُ الكتابُ إلى خبرتِهم في تحدّثِهم وكتاباتِهم: واللهَ نسألُ أنْ يوفقَهم، ويُجري على ألسنتِهم إبداعاً ينمُّ على رفاهةِ حِسٍّ واتّقادِ ذهن، إنّه حسبُنا، منه العونُ وعليه التُّكْلان.

المؤلفون

تمهيد

البلاغة – الفصاحة – النقد

البلاغة:

البلاغةُ بلوغُ الغاية، وقد سُمّيت البلاغةُ بلاغةً لأنّها تُنهي المعنى إلى قلبِ سامِعه فيفهمُه.

والبلاغةُ من صفةِ الكلامِ لا من صفةِ المتكلم، وتسميتُنا المتكلمَ بأنّه بليغٌ نوعٌ من التوسع، وحقيقتُه أنّ كلامَه بليغ، فحُذفَ الموصوف، وأُقيمت الصفةُ مقامَه، قالَ اللهُ تعالى: ﴿ **حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ** ﴾[1] فجعلَ البلاغةَ صفةَ الحكمة، ولم يجعلها من صفة الحكيم، ولكنّ كثرةَ الاستعمالِ جعلت تسميةَ المتكلمِ بأنّه بليغٌ كالحقيقة.

ذلك مفهومُ البلاغةِ لغةً، أما مفهومُها اصطلاحاً فقد تباينت فيه آراءُ العلماء[2]، ولكنّنا نستطيعُ من خلالِ ما ساقَه ابنُ رشيق القيرواني من أقوالِ العلماءِ في تعريفِ البلاغةِ أن نحدّدَ مفهومَ البلاغة بأنّها: وضعُ الكلامِ في موضعِه من طولٍ وإيجازٍ وتأديةِ المعنى أداءً واضحاً بعبارةٍ صحيحةٍ فصيحة، لها في النفسِ أثرٌ خلابٌ مع ملاءمةِ كلِّ كلامٍ للمقامِ الذي يقالُ فيه وللمخاطبينَ به.

وباستقراءِ المفهومِ السابقِ للبلاغةِ ندركُ أنّ عناصرَها هي: اللفظُ، والمعنى، وتأليفُ الألفاظِ على نحوٍ يمنحُها قوةً وتأثيراً حسناً، ثم الدقةُ في اختيارِ الكلماتِ والأساليبِ على حسبِ مواطنِ الكلام، وموضوعاتِه، وحالِ السامعين، والنزعةِ النفسيةِ التي تسيطرُ عليهم.

الفصاحة:

الفصاحةُ الظهورُ والبيان، تقولُ: أفصحَ الصبحُ إذا ظهرَ وأضاء، وتقولُ: أفصحَ اللبنُ إذا انجلت عنه رغوتُه فظهرَ، وتقولُ: أفصحَ فلانٌ عمّا في نفسِه إذا أظهرَه.

---

(١) القمر (٥).

(٢) راجع كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني جزء ١ صفحة ٢١٣ وما بعدها.



ولكنّ فصاحةَ اللفظِ لا تقفُ عندَ حدودِ ظهورِهِ الذي يعتمدُ أكثرَ ما يعتمدُ على سلامةِ جهازِ النطقِ عندَ المتكلمِ، بل تقتضي فصاحةُ اللفظِ إلى جانبِ ذلكَ حسنَ وقعِهِ في سمعِ المخاطَبِ، فالمزنُ والبعاقُ بمعنى واحدٍ، وهو السحابُ المحمَّلُ بالمطرِ، ولكن لفظةَ (المزن) لها وقعٌ مستملحٌ في السّمعِ ليسَ للفظةِ (البعاق) ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1]، وكذلك الغصن والعسلوجُ، والأسدُ والقدوكسُ، والسيفُ والخنشليلُ... إلى غيرِ ذلكَ من المترادفاتِ التي تستملحُ الأذنُ بعضَها، وتنبو عن بعضٍ، فالألفاظُ أصواتٌ، والأذنُ تستملحُ صوتَ الأوتارِ، وتتأذّى من نهيقِ الحمارِ.

فإذا كانت الكلماتُ ذاتَ المعنى الواحدِ يوصفُ بعضُها بأنّه فصيحٌ لحسنِه، وبعضُها لا يعدُّ فصيحاً لقبحِه - تبيّنَ أنّ الفصاحةَ تخصُّ اللفظَ دونَ المعنى.

وتتمثلُ فصاحةُ اللفظِ في خلوِّه من ثلاثةِ أمورٍ: تنافرِ الحروفِ، والغرابةِ، ومخالفةِ القياسِ[2].

وتتمثل فصاحةُ الكلامِ في خلوِّه من ثلاثةِ أمورٍ: ضعفُ التأليفِ، وتنافرُ الألفاظِ، والتعقيدُ اللفظيُّ أو المعنويُّ مع فصاحةِ المفرداتِ التي يتألفُ منها[3].

بين البلاغة والنقد الأدبيّ:

لكلٍّ من البلاغةِ والنقدِ الأدبي ميدانُه وفلكُه الذي يدورُ فيه، فالبلاغةُ العربيةُ تقفُ عندَ حدودِ البحثِ في مظاهرِ الجمالِ الحسّيِّ والمعنويِّ في المفرداتِ والجملِ، أما النقدُ الأدبيُّ فميدانُه البحثُ في القيمةِ الجماليةِ للنصِّ الأدبيِّ المتكاملِ في أيِّ صورةٍ من صورِه، وعلى هذا فالبلاغةُ غيرُ النقدِ، ولكنها أداةٌ تعينُ الناقدَ على تقويمِ العملِ الأدبيِّ.

---

(١) الواقعة (٦٨-٦٩).

(٢) و(٣) انظر الفصل الأول من كتاب الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني.



الخبر والإنشاء

الخبر:

إذا قلنا: (البحرُ ماؤُه ملحٌ، والنهرُ ماؤُه عذبٌ) فإنّنا نحكمُ على هذا القولِ بالصدقِ لأنّه يطابقُ الواقعَ، وإذا قلنا: (ماءُ البحرِ عذبٌ، وماءُ النهرِ ملحٌ) فإنّنا نحكمُ على هذا القولِ بالكذبِ لأنّه لا يطابقُ الواقعَ؛ وكلا القولين خبرٌ لأنّنا أفدنا المخاطبَ بأيٍّ منهما علماً بمضمونِ ما أُلقي إليه من كلام، فالخبرُ قولٌ يفيدُ المستمع علماً بشيء، وهذا القولُ يمكنُ الحكمُ عليه بالصدقِ أو الكذبِ، فإنْ وافقَ الواقعَ فهو صادق، وإنْ خالفَ الواقعَ فهو كاذب.

وصفةُ الصدقِ أو الكذبِ يقصدُ بها مضمونُ الخبرِ لا قائلُه، فقد يقولُ قائلٌ: (ماءُ البحرِ عذبٌ) معتقداً صوابَ قولِه، فيكونُ القائلُ واهماً والقولُ كذباً، فمن اعتقدَ أمراً فأخبرَ به، ثم تبيّنَ له أنّه مخالفٌ للواقعِ لا يعدّ كاذباً، وإنما يعدّ مخطئاً، وقد رُوي عن عائشة – رضيَ اللهُ عنها – أنّها قالت فيمن شأنه كذلك: «ما كذبَ، ولكنْ وَهِمَ» فالحكمُ على الخبرِ بالصدقِ أو الكذبِ يرجعُ لذاتِ الخبرِ، ولذلك يعرّفُ البلاغيون الخبرَ بأنّه: «القولُ الذي يحتملُ الصدقَ والكذبَ لذاتِه».

الأمثلة:

يقولُ أبو تمام:

ولو كانت الأرزاقُ تجري على الحجا[1] ... هلكن إذاً من جهلهن البهائمُ

ويقولُ شوقي:

الناسُ صنفان: موتى في حياتِهمُ ... وآخرونَ ببطنِ الأرضِ أحياءُ

---

(1) الحجا: العقل، والجمع أحجاء.

الإنشاء:

عرّفنا الخبرَ بأنّه الكلامُ الذي يحتملُ الصدقَ والكذبَ لذاتِه، وإنّما يُعرف الصدقُ والكذبُ من وجودٍ خارجيّ لمدلولِ الخبرِ يطابقُه أو لا يطابقُه، فلمدلولِ كلّ خبرٍ قبلَ النطقِ به وجودٌ خارجيّ إذا طابقَه حكمْنا عليه بالصدقِ، وإذا خالفَه حكمْنا عليه بالكذبِ.

إما إذا لم يكنْ لمدلولِ الكلامِ قبلَ النطقِ به وجودٌ خارجيّ فهو الإنشاء؛ فإذا نصحَ صديقٌ صديقه قائلاً: أدِّ الصلاةَ لوقتِها، فليسَ لمدلولِ هذا الكلامِ قبلَ النطقِ بِه وجودٌ خارجيّ يطابقهُ أو لا يطابقهُ، ومن ثمّ لا نستطيعُ الحكمَ على مثلِ هذا القولِ بالصدقِ أو الكذبِ.

فالإنشاءُ إذن هو الكلامُ الذي لا يحتملُ الصدقَ والكذبَ لذاتِه.

وعدمُ احتمالِ الأسلوبِ الإنشائيّ للصدقِ والكذبِ إنما هو بالنظرِ إلى ذاتِ الأسلوب بغضّ النظرِ عما يستلزمُه، لأنّ كلّ أسلوبٍ إنشائيّ يستلزمُ خبراً يحتملُ الصدقَ والكذبَ؛ فقولُ القائلِ: (انصر أخاك) أسلوبٌ إنشائيّ، لأنّه ليسَ لمدلولِه قبلَ النطقِ به واقعٌ خارجيّ يمكنُ أنْ يقارنَ به لتعرّف صدقِه أو كذبِه، ولكنّه يستلزمُ خبراً هو (أنا طالبٌ منك نصرَ أخيك)، ومثلُ ذلك يقالُ في نحوِ (لا تخذل أخاك) ونحو (أنصرتَ أخاك؟) إلى غيرِ ذلكَ من الأساليبِ التي لا تحتملُ الصدقَ والكذبَ لذاتِها، فالحكمُ على الأسلوبِ الإنشائيّ بأنّه لا يحتملُ الصدقَ والكذبَ يكونُ بالنظرِ إلي ذاتِ الأسلوبِ بغضّ النظرِ عمّا يستلزمُه من خبرٍ يحتملُ الصدقَ والكذبَ؛ ومن هنا كان تعريفُ الإنشاءِ بأنه «الكلامُ الذي لا يحتملُ الصدقَ والكذبَ لذاتِه».

والإنشاءُ قسمان: طلبيّ، وغيرُ طلبيّ

أ - **الإنشاءُ الطلبيّ**: وهو ما يستدعي مطلوباً غيرَ حاصلٍ وقتَ الطلبِ، وهو خمسةُ أنواعٍ:

١ - **الأمرُ**: نحو قولُه تعالى: (**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟**)[١]، وقولُه تعالى: (**وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ...**)[٢].

٢ - **النهي**: نحو قولُه تعالى: (**وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا**)[٣]، وقولُه تعالى: (**وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ**)[٤].

(١) الآية ٢٠٠ من سورة آل عمران. (٣) الآية ٣٧ من سورة الإسراء. (٢) الآية ٦٠ من سورة الأنفال. (٤) الآية ١١ من سورة الحجرات.

٣ - **الاستفهام**: نحو قولِه تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [1]. وقوله تعالى: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ [2].

٤ - **التمني**: نحو قولِه تعالى: ﴿ يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ ﴾ [3]. وقولُه تعالى: ﴿ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [4].

٥ - **النداء**: نحو قولِه تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ [5]. وقولُه تعالى: ﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى ﴾ [6].

هذه هيَ أساليبُ الإنشاءِ الطلبيّ الخمسة، وكلّ واحدٍ منها لا يحتملُ صدقاً ولا كذباً لذاته، وإنما يُطلبُ به حصولُ شيءٍ لم يكن حاصلاً وقتَ الطلب، ولذلك يسمّى الإنشاءُ فيها طلبياً.

ب - **الإنشاء غيرُ الطلبيّ**: وهو ما لا يستدعي مطلوباً أيْ لا يدلُّ على طلب، وله صيغٌ كثيرةٌ منها:

١ - **صيغُ المدحِ والذمِ** مثل: نعم وبئس، وحبذا ولا حبذا نحو قولِه تعالى: ﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [7]. وقولُه تعالى: ﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [8].

وقولُ جرير:

يا حبذا جبلُ الريانِ من جبلٍ	وحبذا ساكنُ الريانِ من كانا [9]
وحبذا نفحاتٌ من يمانيةٍ	تأتيك من قبلِ الريانِ أحيانا
ألا حبذا عاذري في الهوى	ولا حبذا العاذلُ الجاهلُ [10]

٢ - **التعجب**: نحو قولِه تعالى: ﴿ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [11]. وقولُه تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ [12].

وقولُ الشاعر:

أولئك قومٌ باركَ اللهُ فيهمُ	على كلّ حالٍ، ما أعفَّ وأكرما [13]

---

(١) الآية ٦٠ من سورة الرحمن.
(٢) الآية ١٧٢ من سورة الأعراف.
(٣) الآية ٧٩ من سورة القصص.
(٤) الآية ٢٧ من سورة الفرقان.
(٥) من الآية ١٣ من سورة الأحزاب.
(٦) من الآية ١٦ من سورة القصص.
(٧) الآية ١٣٦ من سورة آل عمران.
(٨) من الآية ١١ من سورة الحجرات.
(٩) و (١٣) الألف هنا للإطلاق.
(١٠) ألا: حرف استفتاح، وهي كلمة واحدة.
(١١) الآية ١٧٥ من سورة البقرة.
(١٢) الآية ٣٨ من سورة مريم.

٣ - القسم: نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝ ﴾[1].

وقولهُ تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم ﴾[2].

٤ - الرجاء: نحو قولُ ذي الرمة:

لعلَّ انحدارَ الدمعِ يُعقبُ راحةً ... من الوجْدِ أو يشفي شجيَّ البلابلِ[3]

وقولُ الشاعر:

عسى فرجٌ يأتي به اللهُ إنّه ... له كلَّ يومٍ في خليقته أمرُ

٥ - صيغُ العقود (عقود البيع والشراء والزواج): من نحو قولك بعتُ، واشتريتُ، ووهبتُ، وقولك لمن أوجبَ لك الزواج «قبلتُ هذا الزواج».

والفرقُ بينَ الإنشاءِ الطلبيّ والإنشاءِ غيرِ الطلبيّ أنّ الإنشاءَ الطلبيّ يتأخرُ وجودُ معناه عن وجودِ لفظِه، أو ما هو يسبقُ وجودُ لفظِه على وجودِ معناه.

أما الإنشاءُ غيرُ الطلبيّ فهو ما يقترنُ فيه الوجودان: وجودُ اللفظ، ووجودُ المعنى، فيتحققُ وجودُ معناه في الوقتِ الذي يتحقق فيه وجود لفظه، فمن يحلفُ على شيءٍ يتحققُ يمينُهُ وقتَ التلفظِ به وكذلك البيعُ والشراءُ يتحققان بالقولِ بعتُ واشتريت، وكذا المدحُ والذمُ والتعجبُ والرجاءُ، كلّ ذلك يتحققُ معناه في الوقتِ الذي يتحققُ فيه لفظُه.

والإنشاءُ غيرُ الطلبيّ لا يدخلُ في مباحث البلاغة لسببين: أولُهما قلةُ الأغراضِ البلاغيةِ التي تتعلقُ به، وثانيهما أنّ أكثرَ أنواعِه في الأصلِ أخبارٌ نقلت إلى الإنشاء.

أما الإنشاءُ الطلبيُّ فسنتعرضُ له بشيءٍ من التفصيلِ في موضعِه من هذا الكتابِ إن شاءَ اللهُ تعالى.

---

(١) سورة الليل ١ - ٤.

(٢) من الآية ٥٧ من سورة الأنبياء.

(٣) البلابل: جمع بلبال وهو الهم ووسواس الصدر.



الخلاصة:

- فالخبرُ هو القولُ الذي يحتملُ الصدق والكذب لذاتِه.
- والإنشاءُ هو القولُ الذي لا يحتملُ الصدقَ والكذبَ لذاتِه.
- أساسُ التفرقةِ بينَ الخبرِ والإنشاءِ هو الوجودُ الخارجيُّ لمدلولِه؛ فما لمدلولِه وجودٌ خارجيٌ قبلَ التلفظِ به فهو الخبر، وما لا يسبقُ وجودُ مدلولِه وجودَ لفظِه فهو الإنشاء.
- الإنشاءُ قسمان: طلبيٌ، وغير طلبيٍّ.
- فالإنشاءُ الطلبيُّ هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصلٍ وقتَ الطلب.
- أما الإنشاءُ غيرُ الطلبيِّ فهو مالا يستدعي مطلوباً أيْ لا يدلُّ على طلب؛ ويقترنُ فيه الوجودان: وجودُ اللفظ، ووجودُ المعنى.

(١) عين الخبرَ في كلّ مما يأتي:

عن ثوبان مولى رسول الله يقولُ الرسولُ -صلى اللهُ عليهِ وسلم-:

«يوشك أن تداعى [1] عليكم الأمم من كلّ أفقٍ كما تداعى الأكلةُ على قصعتها. قال: قلنا يا رسول اللهِ أمن قِلةٍ بنا يومئذٍ قال: أنتم يومئذٍ كثيرٌ ولكنْ تكونون غُثاءً كغُثاءِ السّيلِ ينزعُ المهابةَ من قلوبِ عدوِّكم ويجعلُ في قلوبِكم الوهْن. قال: قلنا: وما الوهْن؟ قال: «حبُّ الحياةِ وكراهيةُ الموتِ» [2].

ويقولُ أميرُ المؤمنين عليّ بنُ أبي طالبٍ كرمَ اللهُ وجهَه: «أحسنْ إلى مَن شِئتَ تكن أميرَه، واستغنِ عمّن شئت تكن نظيرَه، واحتج إلى من شئت تكن أسيرَه».

ويقولُ أبو العلاء المعري:

صاحِ هذي قبورُنا تملأُ الرّحـ ... ـبَ فأينَ القبورُ من عهدِ عادِ؟

خَفِّفِ الوطءَ، ما أظنُّ أديمَ الـ ... أرضِ إلّا من هذه الأجسادِ

وقبيحٌ بنا وإنْ قدمَ العهـ ... ـدُ هوانُ الآباءِ والأجدادِ

سِرْ إنِ اسْطَعتَ في الهواءِ رُوَيدا ... لا اختيالاً على رُفاتِ العبادِ

ويقولُ المتنبي:

أرى كلَّنا يبغي الحياةَ لنفسِهِ ... حريصاً عليها مُستهاماً بها صَبّا

فحبُّ الجبانِ النفسَ أوردَه التُّقى ... وحبُّ الشجاعِ النفسَ أوردَه الحربا

ويختلفُ الرزقانِ والفعلُ واحدٌ ... إلى أن يُرَى إحسانُ هذا لذا ذنبا

ويقولُ أحمدُ السقّاف في خطابِ الأمةِ العربية:

كفاكِ تفجُّعٌ وكفتْ دموعُ ... وهُبّي فالمماتُ ولا الخضوعُ

ونادي كلَّ مقدامٍ أبيٍّ ... له في كلِّ معتركٍ سطوعُ

---

(١) أصله تتداعى، وحذفت التاء للتخفيف.

(٢) مسند أحمد - باقي مسند الأنصار رقم الحديث (٢١٣٦٣).

وثــوري أمّــتي فــلقــد تــنــزّتْ[1] إلــى ثــاراتــهــا هــذي الــجــمــوعُ

ويقولُ بشارةُ الخوري الملقبُ بالأخطل الصغير:

ســائلِ الــعَــلْــيــاءَ عــنــا والــزمــانــا[2] هــل خَــفَــرْنــا ذِمَّــةً مُــذْ عَــرَفــانــا

الــمــروءاتُ الــتــي عــاشــت بــنــا لــم تَــزَلْ تــجــري سَــعــيــراً فــي دِمــانــا

ضَجَّتِ الــصــحــراءُ تشكو عُرْيَــهــا فــكــسَــوْنــاهــا زئــيــراً ودُخــانــا

(٢) عين ما هو طلبي وما هو غيرُ طلبيّ من الأساليبِ الإنشائيةِ التالية:

- نعم قائداً خالد.
- بئستِ المرأة أروى بنتُ حرب[3].
- أحسن إلى الناسِ تستعبد قلوبَهم.

عِــش عــزيــزاً أو مُــت وأنــت كــريــم بــيــن طــعــنِ الــقــنــا وخــفــقِ الــبــنــود

- لا يكن أحدُكم إمّعة[4].
- ﴿ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5].
- ما أجملَ الدينَ والدنيا إذا اجتمعا وأقبحَ الكفرَ والإفلاسَ في الرجلِ

(١) تنزّت: أسرعت.
(٢) الألف هنا للإطلاق.
(٣) هي أم جميل زوج أبي لهب، وأخت أبي سفيان بن حرب.
(٤) الإمّعة من لا رأي له.
(٥) سورة الزمر الآية ٩.

الأسلوب الخبري

أولاً - الصورة التركيبية لجملة الخبر:

الأمثلة - أ -

١ - المؤمنُ كَيِّس فَطِن.

٢ - العاجز مَن أتبع نفسَه هواها.

- البَغْيُ يَصرعُ أهلَه والظلمُ مرتعُه وَخيمُ

- ب -

١ - ينصرُ اللهُ من ينصره.

٢ - يأبى الحرّ الهوان.

٣ - ذهبَتْ جِدَّتي بطاعة نفسي وتذكَّرتُ طاعة الله نِضْوا[1]

البيان:

بتأملِ الأمثلةِ السابقةِ نجدُ أنّها جميعاً أخبار، ولكنّ أمثلةَ المجموعةِ (أ) جملٌ اسمية، وأمثلةَ المجموعةِ (ب) جملٌ فعلية؛ فجملةُ الخبرِ قد تكونُ فعلية، وقد تكون اسمية.

وبالنظر في جملِ المجموعة (أ) وهي جملٌ اسميةٌ نجدُ أنّ (المؤمن) في الجملةِ الأولى، وهو المبتدأ محكومٌ عليه، والخبرُ محكومٌ به، وبتعبيرٍ آخرَ نقولُ إنَّ الكياسةَ والفطنة قد اسندتا إلى (المؤمن) الذي هو المبتدأ وعلى هذا يكونُ المبتدأُ مسنداً إليه، والخبر مسنداً.

وفي المثالِ الثاني حكمَ العاجزِ بأنّه (من أتبع نفسه هواها)؛ فالعاجزُ محكومٌ عليه بأنّه ذلك

(١) جدّ الشيء جِدّة صار جديداً، والنِّضو: الثوب الخلق والبعير المهزول، وهذا البيت من قصيدة لأبي نواس في مرض موته، والمعنى أنه أطاع هواه في أيام شبابه، ولم يتذكر طاعة الله إلا وقت الهرم والضعف.

الذي يُتبع نفسَه هواها؛ فالاسمُ الموصولُ (من) مع صلتِه محكومٌ به على (العاجز)، وهذا الحكمُ الذي هو الخبرُ أسندَ إلى (العاجز) الذي هو المبتدأ، وعلى هذا يسمّى المبتدأُ مسنداً إليه، ويسمّى الخبرُ مسنداً.

ومثلُ ذلك يقالُ في المثالِ الثالث، ولكنّا نلاحظُ أنَّ الخبرَ (المسند) جاءَ في هذا المثالِ جملةً فعليةً في الشطرِ الأول، وجملةً اسميةً في الشطرِ الثاني [1].

تأمل أمثلةَ المجموعةِ (ب) تجدْها أخباراً كذلك، ولكنّها تختلفُ عن سابقتِها في كونِها جملاً فعلية. وبالنظرِ في المثالِ الأولِ تجدُ أنَّ الفعلَ (ينصر) أسندَ إلى لفظِ الجلالةِ الذي هوَ الفاعل؛ فالفعلُ مسند، والفاعلُ مسندٌ إليه، وكذلك الفعلُ (يأبى) مسندٌ إلى (الحر) في المثالِ الثاني، و(ذهبتْ) مسندٌ إلى (جدتي)، و(تذكّر) مسندٌ إلى تاءِ الفاعلِ في المثالِ الثالث.

(1) لم نقل للخبر شبه الجملة لأن شبه الجملة لا يقع خبراً على وجه الحقيقة، ولكنه يتعلق بمحذوف هو الخبر الحقيقي، ويقدر بمفرد عند البصريين، ويقدر بجملة عند الكوفيين، فإذا قلنا: (زيد في الدار) فالتقدير: مستقر في الدار، أو استقر في الدار. وإعرابنا لشبه الجملة في مثل ما سبق على أنه خبر نوع من التساهل.

الخلاصة:

١ - لكل جملة خبرية [1] ركنان: محكومٌ عليه ويسمّى مسنداً إليه، ومحكومٌ به ويسمّى مسنداً.

٢ - مواضعُ المسندُ إليه هي: الفاعلُ، ونائبُ الفاعل، والمبتدأُ الذي له خبر [2]، وما أصلُه المبتدأ كاسمِ كان وأخواتِها.

٣ - مواضعُ المسندِ هي: الفعلُ التام، والمبتدأ المكتفي بمرفوعِه [3]، وخبرُ المبتدأ، وما أصلُه خبرُ المبتدأ كخبرِ كانَ وأخواتِها، واسمُ الفعل، والمصدرِ النائبِ عن فعلِ الأمر.

٤ - ما زادَ على المسندِ والمسندِ إليه غيرِ المضافِ إليه والصلةِ [4] يسمّى قيداً [5]، وقيودُ الجملة هي: أدواتُ الشرط، والنفي، والمفاعيل، والحال، والتمييز، والتوابع، والنواسخ.

---

(١) وكذلك الجملة الإنشائية.

(٢) و (٣) إذا قلت: أمسافر أخواك؟، فمسافر هنا مبتدأ، وأخواك فاعل سد مسد الخبر، وإذا قلت: ما مذموم أخواك فمذموم مبتدأ، وأخواك نائب فاعل سد مسد الخبر والمبتدأ في المثالين اكتفى بمرفوعه لبناء الجملة، وهو في مثل هذا مسند لا مسند إليه.

(٤) استثني المضاف إليه والصلة من قيود الجملة لأن المضاف إليه مع المضاف كالكلمة الواحدة، والصلة هي التي تعرّف الموصول فلا يتحدد مدلوله إلا بها.

(٥) القيد ما قيد الإسناد بغيره من زمان أو مكان أو حال أو غيرها.

عين المسندَ والمسندَ إليه والقيدَ في كلّ مما يأتي:

١ - يقولُ الجاحظ:

المشورةُ لقاحُ العقولِ، ورائدُ الصوابِ.

٢ - الحرّ لا يقيمُ على رخاءٍ فيه ذلة.

٣ - لا يلذّ الحر ما يدنسُ عرضه.

٤ - يقولُ المتنبي:

إنّي أصاحبُ حِلْمي وهو بي كرمٌ ... ولا أصاحبُ حلمي وهو بي جُبُنُ

٥ - قال الله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[1].

---

(1) البقرة الآية 255.

ثانياً – الوظائفُ الدلاليةُ للخبر (أغراضُ الخبر)

أ – وظائف من الجملة (الأغراضُ الأصلية)

الأمثلة:

١ – وُلد النبيّ –صلى اللهُ عليه وسلم– عامَ الفيل، وأُوحي إليه في سنّ الأربعين، وأقامَ بمكةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً وبالمدينةِ عشراً.

٢ – الأرضُ جرمٌ بيضيّ الشكلِ دائم الدورانِ حولَ نفسِه وحولَ الشمس. ومن دورانِه حولَ نفسِه ينشأُ الليلُ والنهار، ومن دورانِه حولَ الشمسِ تنشأُ الفصولُ الأربعة: الصيفُ، والخريفُ، والشتاءُ والربيعُ.

٣ – أثرت المرناةُ[1] ووسائلُ الاتصالِ الحديثةِ في عاداتِ الشعوبِ وقيمِها وتقاليدِها.

٤ – إنك لتكظمُ الغيظَ، وتحلمُ عندَ الغضبِ، وتعفو مع القدرةِ، وتصفحُ عن الزلة، وتسرعُ إلى النجدة.

٥ – قالَ المتنبي مخاطباً سيفَ الدولة:

تدوسُ بكَ الخيلُ الوكورَ[2] على الذُّرا[3]   وقد كثُرت حولَ الوكورِ المطاعمُ

٦ – وقالَ أحدُ الشعراءِ معاتباً:

وتنتابُني في كلِّ نادٍ تحلُّه   وتزعمُ أني لستُ كفئاً لمثلكا[4]

البيـــان:

تأملِ الأمثلةَ السابقةَ تجدِ المتكلمَ في المثالِ الأول إنما يريدُ إفادةَ المخاطبِ ما كانَ يجلُه

---

(١) المرناة: التلفزيون.
(٢) الوكور: جمع وَكْر، وهو بيت الطائر.
(٣) الذرا: جمع ذروة، وهي القمة.
(٤) الألف هنا للإطلاق.



من مولدِ الرسولِ -صلى اللهُ عليه وسلم- وتاريخِ الإيحاءِ إليه، والزمنِ الذي أقامه بعدَ ذلك في مكةَ والمدينة.

وفي المثالِ الثاني أرادَ المتكلمُ أنْ يفيدَ المخاطبَ ما كانَ يجهلُه من شكلِ الأرضِ وحركتِها، وكيفيةِ تعاقبِ الليلِ والنهارِ، وتتابعِ الفصولِ الأربعة.

وفي المثالِ الثالثِ أفادَ المتكلمُ المخاطبَ علماً بتأثرِ التليفزيون ووسائلِ الاتصالِ الحديثةِ في عاداتِ الشعوبِ وقيمِها وتقاليدِها.

ففي الأمثلةِ الثلاثةِ الأولى لا يرمي المتكلمُ إلى شيءٍ من ورائِها سوى إفادةِ المخاطبِ علماً بمضمونِها الذي لا يعرفُه؛ فالغرضُ هنا وهو (فائدةُ الخبر) يقومُ على أساسِ أنّ من يُلقي إليه الخبرُ يجهلُ حكمَه أي مضمونَه، ويراد إعلامُه به.

أما في الأمثلةِ الثلاثةِ الأخيرةِ فنجدُ المتكلمَ يُخبرُ المخاطبَ بما يعلمُه قبلَ أنْ يُلقى إليه؛ ففي المثالِ الرابعِ يخبرُ المتكلمُ المخاطبَ بخصالٍ في نفسِه هو أعرفُ بها من غيرِه، وفي المثالِ الخامسِ يخبرُ المتنبي سيفَ الدولةِ بما فعلَه سيفُ الدولةِ نفسُه وهو يحاربُ أعداءَه من تتبعِهم ومطاردةِ فلولِهم بجيشِه في قممِ الجبالِ حيثُ وكورِ جوارحِ الطيرِ، فيقتُلهم هناك، ويجعلُ من جثثِهم وليمةً كبيرةً متناثرةً حولَ أوكارِ الطيور.

وسيفُ الدولةِ لا يجهلُ مضمونَ الخبرِ الذي يلقيه إليه المتنبي فقد فعلَه بنفسِه.

وفي المثالِ السادسِ لا يقصدُ الشاعرُ منه أن يفيدَ المخاطبَ علماً بمضمونِ البيتِ الذي ألقاه إليه لأنّ المخاطبَ يعلمُ ما يقعُ منه من اغتيابٍ للشاعرِ وزعمٍ بأنه ليسَ كفئاً له، وإنما يبغي الشاعرُ من وراءِ إلقاءِ هذا الخبرِ على من يخاطبُه به أنّه يعلمُ مضمونَه ولا يجهلُه.

فالمخاطبُ في كلِّ مثالٍ من الأمثلةِ الثلاثةِ الأخيرةِ لم يستفدْ علماً بالخبرِ نفسِه لأنّه يعلمُه مسبقاً ولا يجهلُه، وإنما استفادَ أنّ المتكلمَ عالمٌ به، ويسمى الغرضُ من ذلك النوعِ من الخبرِ (لازمَ الفائدة).

الخلاصة:

الأصلُ في الخبرِ أن يلقى لأحدِ غرضين:

١ - إفادةُ المخاطبِ الحكمَ الذي تضمنتْه الجملةُ أو العبارة، ويسمى ذلك الحكمُ فائدةَ الخبر.

٢ - إفادةُ المخاطبِ أنّ المتكلمَ عالمٌ بالحكم، ويسمى ذلك لازمَ الفائدة.

فائـــدة:

الغرضُ الذي يسميه البلاغيون فائدةَ الخبرِ يتمثلُ في جميعِ الأخبارِ التي يبغي المتكلمُ من ورائها تعريفَ من يخاطبُه بشيءٍ أو أشياءٍ يجهلُها كما يتمثلُ في الأخبارِ المتعلقةِ بالحقائقِ التي تشتملُ عليها الكتبُ في العلومِ والفنونِ المختلفة، أو الحقائقِ العلميةِ التي تلقى على المتعلمين، أو ما تنقلُه الصحفُ اليوميةُ وما تعرضُه نشراتُ الأخبار... أما الغرضُ الذي يسميه البلاغيون لازمُ الفائدةِ فيأتي في مواضعِ المدحِ واللومِ والعتابِ وما أشبه ذلك من كلّ موضعٍ يأتي فيه إنسانٌ ما عملاً ما، ثم يأتي شخصٌ آخرُ فيخبره به لبيانِ علمِه بما فعلَ المخاطب.

* * *

ب - وظائف سياقية (الأغرض البلاغية)

الأمثلة:

١ - يقولُ أبو فراس الحمداني:

ومكارمي عددُ النجوم ومنزلي ... مأوى الكرامِ ومنزلُ الأضيافِ



٢ – وأرسلَ المتنبي وهو في محبسِهِ إلى السلطان:

دعـوتُـك عـنـدَ انـقـطـاعِ الرجـا	ءِ والـمـوتُ مني كحبـلِ الوريـدِ
دعـوتُـك لـمـا بـرانـي الـبـلاءُ	وأوهـنَ رجـلـيّ ثـقـلُ الـحـديـدِ

٣ – ويقول المتنبي في رثاء جدته [1]:

أتـاهـا كـتـابي بـعـد يـأسٍ وتَـرْحَـةٍ	فـمـاتـت سـروراً بي فـمـتُّ بـهـا غـمّا
حـرامٌ عـلـى قـلـبـي الـسـرورُ فـإنني	أعُـدّ الـذي مـاتـت بـه بـعـدَهـا سُـمّا

٤ – يقولُ اللهُ تعالى روايةً عن زكريا عليه السلام: ﴿ **رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾** ﴾ [2]

٥ – يقول ابن نُباتة السعدي:

يفـوت ضجيـعَ [3] التُّرّهات [4] طِـلابُه [5]	ويدنو إلى الحاجاتِ مَن بـاتَ ساعيا

٦ – ويقولُ زهيرُ بن أبي سُلمى:

وأبـيـضَ فـيّـاضٍ يـداه غـمـامـةٌ	على مُعْتَفيه [6] ما تَغِبُّ فواضلُه [7]
تـراه إذا مـا جِـئْـتَـه مُـتـهـلّـلاً	كـأنـك تُـعـطـيـه الـذي أنـتَ سـائلُه

البيــان:

عرفنا مما سبق أنّ الأصلَ في الخبرِ أن يلقى لأحد غرضين هما: فائدةُ الخبر، ولازمُ الفائدة. ولكنّا إذا نظرنا في الأمثلةِ السابقةِ وجدنا المتكلمَ لا يقصدُ بأيٍّ منها فائدةَ الخبرِ ولا

---

(١) روي أن المتنبي بعد طول مقامه بعيداً عن جدته التي كانت تحبه حباً شديداً أرسل إليها يخبرها بمقدمه فماتت من شدة الفرح.
(٢) مريم الآية ٤.
(٣) الضجيع: المضاجع.
(٤) الطلاب: الشيء المطلوب.
(٥) الترهات: الأباطيل والأماني الكاذبة.
(٦) على معتفيه: على طالب معروفه وفضله.
(٧) ما تغب فواضله: ما ينقطع إحسانه.

لازمَ الفائدة؛ ففي كلِّ مثالٍ منها خرجَ المتكلمُ بالخبرِ عن هذين الغرضين إلى غرضٍ آخرَ يفهمُ من سياقِ الكلامِ وقرائنِ الأحوال؛ ففي المثالِ الأولِ يفخرُ أبو فراس بكثرةِ مكارمِهِ وأضيافِه، لأنّ أبا فراس - وقد كانَ نجماً بين أقرانِه - لا يجهلُ أحدٌ مكارمَه ولا الحالَ التي عليها منزلُه، وتلك قرينةٌ دالةٌ على أنّه لا يرمي من وراءِ الخبرِ إعلاماً بمضمونِه، وإنما ألقاه بغرضِ الفخر.

والمتنبي في المثالِ الثاني يخبرُ عن سوءِ حالِه من جراءِ السجنِ الذي أمرَ السلطانُ بإيداعِه فيه، وحديثُه موجّهٌ إلى السلطانِ الذي بيدِه العفو عنه، ونجاته مما هو فيه رهنٌ برحمةِ السلطانِ به وعطفِه عليه فغرضُه من إلقاءِ هذا الخبرِ هو الاسترحامُ والاستعطافُ.

وفي المثالِ الثالثِ لا يخبرُ المتنبي بشيءٍ يجهلُه الناس؛ فموت جدتِه من فرطِ السرورِ برسالتِه كانَ حديثُ الناسِ قبلَ وصولِه إليها ورثائِه لها الذي تضمّنَ هذا الخبرَ إظهاراً للتحسرِ على موتِها.

وفي المثالِ الرابعِ يخاطبُ زكريا عليه السلام ربّه الذي هو أعلمُ بحاله منه، فكيفَ يكونُ غرضُه فائدةَ الخبرِ أو لازمَ الفائدة؟ إنّه إنما يظهرُ ضعفه لمن بيده العون. فالغرضُ البلاغيّ هنا إظهارُ ضعفِه لمن بيده العون.

وفي المثالِ الخامسِ لا يجهلُ أحد مضمونَ الخبرِ الذي يلقيه ابن نباتة، بل إن المخاطبين يعلمون أثرَ التخلّي عن السعي والجدّ في فوتِ طلابِهم، فغرضُه البلاغيُّ إذن هو الحثُّ على السعي والجد.

أما زهيرُ بن أبي سُلمى في إخبارِه عن جودِ هرم بن سنانٍ بصيغةِ المبالغةِ (فيّاض) والتشبيهِ البليغِ (يداه غمامة) وبيانِ دوامِ إحسانِه (ما تغب فواضله) وتأكيدِ سرورِه بمقدمِ طلبي معروفِه بجعلِه كالذي يأخذُ ما يعطي فقد رفعَه فوقَ سائرِ الكرماءِ يبغي مدحَه، فغرضُه البلاغيّ هنا المدحُ.

الخلاصة:

أ- قد يُلقى الخبرُ لأغراضٍ أخرى غير فائدةِ الخبرِ ولازمِ الفائدة تفهمُ من السياقِ وقرائنِ الأحوالِ، ومنها:

١ - الفخر.

٢ - الاسترحامُ والاستعطاف.

٣ - إظهارُ التحسّر.

٤ - إظهارُ الضعف.

٥ - الحثّ على السعي والجد.

٦ - المدح.

ب - الأغراضُ البلاغيةُ للخبرِ تضفي عليه جمالاً مبعثُه اتصالُ الخبرِ بوجدانِ قائله وتعبيره عن دلالاتٍ شعوريةٍ زائدةٍ على المعنى اللغوي.

١ - بيّن أغراضَ الكلامِ في كلّ مما يأتي:

أ - يقولُ شوقي:

وما نيلُ المطالبِ بالتمنّي ولكن تُؤخذُ الدنيا غِلابا
وما استعصَى على قومٍ منالٌ إذا الإقدامُ كان لهم رِكابا

ب - ويقولُ الشريفُ الرضي:

ولا أعرفُ الفحشاءَ إلا بوصفِها ولا أنطقُ العوراءَ والقلبُ مُغْضَبُ

جـ - وأرسلَ إبراهيمُ بنُ المهدي إلى الخليفةِ المأمون:

أتيتُ جُرماً شنيعاً وأنتَ للعفوِ أهلُ
فإنْ عَفَوْتَ فمَنٌّ وإن قتلتَ فعدلُ

د - وقالَ آخر:

فمالي حيلةٌ إلا رجائي لِعفوكَ إن عفوت وحُسْنُ ظنّي
يَظنُّ الناسُ بي خيراً وإنّي لَشَرُّ الناسِ إن لم تعفُ عني

هـ - ويقولُ المتنبي:

عليلُ الجسمِ مُمْتَنِعُ القيامِ شديدُ السُّكْرِ من غيرِ المُدامِ

و - ويقولُ آخر:

إن الثمانينَ - وبُلِّغتها - قد أحوجتْ سمعي إلى تَرْجُمانِ

ز - وقالَ أعرابيٌّ يرثي ولدَه:

ولمّا دَعَوْتُ الصبرَ بعدكَ والأسى أجابَ الأسى طوْعاً ولم يُجبِ الصبرُ
فإن يَنْقَطِعْ منكَ الرّجاءُ فإنّه سيبقى عليكَ الحزنُ ما بَقِيَ الدهرُ

٢ - «الماءُ سائلٌ عديمُ اللونِ والطعمِ والرائحة، ويتكونُ من عنصرين غازيين هما: الهيدروجين، والأكسجين بنسبةِ اثنين إلى واحدٍ حجماً، وواحدٍ إلى ثمانيةٍ وزناً». بيّن الغرضَ من الخبرِ



السابقِ في الحالين التاليين:

أ - حين يلقيه معلمُ الكيمياء على التلاميذ.

ب - حين يخبرُ به تلميذٌ معلمَ الكيمياء.

٣ - اختر من الأغراضِ البلاغيةِ بين القوسين ما يناسبُ كلَّ خبرٍ مما يأتي:

(السخرية - التهديد - التنزيه - النصح).

أ - من خطبةٍ للحجاجِ بن يوسفَ الثقفي:

«مَنْ أعياه داؤُه فعندي دواؤُه، ومَنِ استطالَ أجلَه فعليّ أن أُعجِّلَه، ومَنْ ثَقُلَ عليه رأسُه وَضَعْتُ عنه ثقلَه».

ب - قالَ ابنُ الرومي لرجلٍ ذي أنفٍ كبير:

حملتَ أنفاً يراه الناسُ كلُّهم	من ألفِ ميلٍ عياناً لا بمقياسِ
لو شئتَ كسباً به صادفتَ مُكتَسَباً	أوِ انتصاراً مضى كالسيفِ والفاسِ

جـ - وقالَ إيليا أبو ماضي:

إنَّ شرَّ الجناةِ في الأرضِ نفسٌ	تتوخّى قبلَ الرحيلِ الرحيلا
وترى الشوكَ في الورودِ وتَعمى	أنْ ترى فوقَها الندى إكليلا

د - سبحان اللهِ العظيم.

ثالثاً – أضربُ الخبر

الأمثلة:

١ – «المسلمُ أخو المسلمِ لا يظلمه، ولا يخذلُه، ولا يحقرُه»[1]

٢ – الكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ.

٣ – يقولُ شوقي:

صلاحُ أمرِكَ للأخلاقِ مرجِعُه ... فقوِّمِ النفسَ بالأخلاقِ تستقمِ

والنفسُ من خيرِها في خيرِ عافيةٍ ... والنفسُ من شرِّها في مرتعٍ وَخِمِ

....

٤ – ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ ﴾[2].

٥ – ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝ ﴾[3].

٦ – يقولُ النابغةُ الذبياني:

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلُمُّه ... على شعَثٍ، أيُّ الرجالِ المهذَّبُ؟[4]

٧ – إذا ما الأصلُ أُلفِيَ غيرَ زاكٍ ... فما تزكو مدَى الدهرِ الفروعُ

....

٨ – ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝ ﴾[5].

٩ – ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ﴾[6].

١٠ – ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾[7].

---

(١) من حديث شريف رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب رقم الحديث ٤٦٥٠. (٢) سورة المؤمنون (١–٣). (٣) سورة النبأ (٣١).

(٤) لا تلمه: أي لا تجمعه إليك، والشعث: انتشار الرأس من الغبار، والمقصود على ما به من هفوات، ومعنى قوله «أي الرجال المهذب؟» ليس في الناس كامل لا عيب فيه. (٥) سورة الانفطار (١٣–١٤). (٦) سورة يونس (٦٢). (٧) سورة العصر.

١١ - ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝ ﴾[٨].

البيـــان:

من عناصرِ البلاغةِ تناسبُ الكلامِ والموضوعاتِ والأساليبِ مع حالِ السامعينَ والنزعةِ النفسيةِ التي تسيطرُ عليهم. ولما كانَ للخبرِ طرفانِ أساسيانِ هما المتكلمُ والمخاطبُ، والخبرُ رهنٌ بتصديقِ المخاطبِ أو تكذيبِه - كانَ لزاماً على المتكلمِ أن يراعيَ حالَ المخاطبِ وموقفِه مما يلقى إليه من أخبارٍ؛ ففي المثالِ الأولِ يخبرُ الرسولُ -صلى اللهُ عليه وسلم- من يعتقد خُلوَّ ذهنِه من مضمونِ الخبرِ وهو حقيقةُ العلاقةِ بينَ المسلمِ والمسلم. فحكمُه -صلى اللهُ عليه وسلم- على المسلمِ بأنّه أخٌ للمسلمِ لا يحتملُ من المخاطبين شكاً ولا إنكاراً، فألقى إليهم الخَبَر خالياً من التأكيد.

وكذلك الحكمُ على الكلمةِ الطيبةِ بأنّها صدقة، لم يرَ المتكلمُ حاجةً لتأكيدِه، فجاءَ الخبرُ خالياً من التأكيدِ لاعتقادِ المتكلمِ خلوَّ ذهنِ المخاطبِ من مضمونِه.

وشوقي يُرجعُ صلاحَ الأمرِ لحسنِ الخلق، ويخبرُ عن النفسِ الخيِّرةِ بأنّها في أفضلِ حالٍ وفي منجاةٍ من الأذى، كما يخبرُ عن النفسِ الشريرةِ بأنّها معرضةٌ للهلاكِ وكأنّها سائمةٌ ترعى في مرعى وبيلٍ تأكلُ منه ما يضرّها ويعرضُها للهلاك، وهو في كلِّ هذا يعتقدُ خلوّ ذهنِ المخاطبِ من مضامينِ أخبارِه التي ألقاها في البيتين.

ففي الأمثلةِ الثلاثةِ الأولى ألقيت الأخبارُ إلى مَن يعتقدُ المتكلمونَ خلوَّ أذهانِهم من مضامينِها فلم يرَ المتكلمُ في أيّ منها حاجةً لتأكيدِ ما يخبرُ به، وهذا النوعُ من الخبرِ أي الذي يُلقَى إلى خالي الذهنِ من مضمونِه يسمى ابتدائياً.

---

(٨) سورة الذاريات: (٢٢-٢٣).



تأملِ الأمثلة التالية (من الرابع إلى السابع) تجدْ أنّ اللهَ تعالى قضى بفلاحِ المؤمنين الذين وصفتهم الآياتُ الكريمة -وأخبارُ اللهِ تعالى مقطوع بصدقها- ومع هذا لم يُغفلِ المتكلمُ -وهو ربّ العزة- حالَ المخاطبين إذ يحتملُ الخبرُ هنا الشكَّ في مضمونه من بعضِ المخاطبين به فأكدّه بمؤكدٍ واحدٍ هو (قد).

وفي المثالِ الخامس (إنّ للمتقين مفازا) أكدَ اللهُ تعالى الخبر بإنّ لعلمهِ بشكِّ بعضِ المخاطبين في مضمونه، وهو أنّ الفوزَ حاصلٌ للمتقين.

أما النابغةُ في المثالِ السادس فقد أكدَ الخبرَ بالباءِ الزائدةِ الداخلةِ على خبرِ ليس لاعتقادِه شكَّ المخاطبِ في نفي استبقاءِ الخلانِ إن لم يقبلهم على عيوبهم لانتفاءِ الكمالِ عن البشر.

واستعانَ أبو العلاء في المثالِ السابع بما الزائدة لنفي الشكِّ عن المخاطبِ وحملِه على تصديقِ ما أخبرَ به.

عُدْ إلى الأمثلةِ من الرابع إلى السابع تجدْ أنّ كلاً منها قد أكدَ استحساناً لاعتقادِ المتكلمِ شكَّ المخاطبِ في مضمونه. وهذا النوعُ من الخبرِ يسمى طلبياً.

تأملِ الأمثلةَ الأخيرة (من الثامن إلى الحادي عشر) تجدْ أنّ كلامَ اللهِ تعالى في المثالِ الثامنِ قد أكد فيه الخبران كلاهما: استقرارُ الأبرارِ في نعيم، واستقرارُ الفجارِ في جحيم، وما ذلك إلا مراعاة لإنكارِ كثيرٍ من المخاطبين لهذين الحكمين مما استوجبَ التوكيدَ بمؤكدين اثنين، ففي كلِّ خبرٍ تمَ التأكيدُ بمؤكدين هما: إنّ، ولام الابتداء[1].

وفي المثالِ التاسع تمَ التأكيدُ بمؤكدين هما: (ألا الاستفتاحية)، و(إنّ)؛ فهذا الخبرُ يحكمُ بنفي الخوفِ والحزنِ عن أولياءِ الله، وهذا المضمونُ ينكره كثيرٌ من المخاطبين لما يرون من إيذاءٍ لأولياءِ اللهِ في الدنيا، فإذا أخبرَهم القرآنُ بما يلقون عندَ ربّهم من الكرامةِ لقاءَ صبرهم

---

(١) الأصل في لام الابتداء أنها تدخل على المبتدأ، فإذا دخلت (إنّ) على الجملة انتقلت اللام إلى الخبر أو ما يتعلق به إذا لم يكن مقدماً، وقد تبقى فيما أصله المبتدأ نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ القلم (٣).



على الأذى راحوا ينكرون الآخرة، فكانَ التأكيدُ بغيرِ ما مؤكدٍ أمراً واجباً في هذه الحال.

أما المثالُ العاشر الذي يقضي بثبوتِ الخسرانِ لبني الإنسانِ جميعاً باستثناءِ الذين آمنوا وعلموا الصالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبرِ فقد تمّ تأكيدُه بثلاثةِ مؤكدات هي: (القسم)، و(إنّ)، و(اللام) لعلمِ اللهِ تباركَ وتعالى بشدةِ إنكارِ المخاطبين لمضمونِ هذا الخبر؛ فالفلاحُ الدنيوي حاصلٌ لكثيرين من غيرِ الذين استثنتهم السورةُ الكريمة.

وفي المثالِ الحادي عشر جاءت الآيةُ الثانيةُ لتؤكدَ الخبرَ بثلاثةِ مؤكداتٍ هي (القسم) و(إنّ) و(اللام) لتأكيد ما عرضته الآيةُ الأولى من كونِ رزقنا وما نوعدُ كائناً في السماء، وظاهرُ الأمرِ أنّه كائنٌ في الأرضِ مما استوجبَ القسم بربِّ السماءِ والأرضِ معاً على أنّه للحقّ الذي لا يُنكر كما لا ينكرُ أحدُكم نطقَه بالكلام.

ففي الأمثلةِ الأخيرةِ (من الثامن إلى الحادي عشر) جاءَ الكلامُ مؤكداً وجوباً لاعتقادِ المتكلمِ إنكارَ المخاطبِ لمضمونِ ما يلقى إليه. ويسمى هذا النوعُ من الخبرِ إنكارياً.

الخلاصة:

١ - موقفُ المخاطبِ من الخبرِ لا يعدو حالةً من ثلاث[1]:

أ - أن يكونَ خاليَ الذهنِ من الحكم، وفي هذه الحال يلقى إليه الخبرُ خالياً من أدواتِ التوكيد، ويسمى هذا الضربُ من الخبرِ ابتدائياً.

ب - أن يكونَ متردداً في الحكم طالباً أنْ يصلَ إلى اليقين في معرفتِه، وفي هذه الحال يحسُن توكيدُه له ليتمكنَ من نفسه، ويسمى هذا الضربُ من الخبرِ طلبياً.

جـ - أن يكونَ منكراً له، وفي هذه الحال يجبُ أن يؤكدَ له الخبرُ بمؤكدٍ أو أكثرَ على حسبِ إنكارِه قوةً وضعفاً، ويسمى هذا الضربُ من الخبرِ إنكارياً.

٢ - لتوكيدِ الخبرِ أدواتٌ كثيرةٌ منها: إنّ، وأنّ، والقسم، ولامُ الابتداء، ونونا التوكيد، وأحرفُ التنبيه، والحروفُ الزائدة[2]، وقد، وأمّا الشرطية، والسين التي تخصصُ المضارعَ للاستقبال، وضميرُ الفصل[3].

٣ - تأكيدُ الخبرِ الطّلبي مستحسن، أما تأكيدُ الخبرِ الإنكاريّ فواجبٌ ولا يجوزُ العدولُ عنه إلا لدواعٍ بلاغية.

---

(١) إلقاء الخبر ابتدائياً أو طلبياً أو إنكارياً إنما هو على حسب ما يخطر في نفس المتكلم من أن سامعه خالي الذهن أو متردد أو منكر، وقد يعدل المتكلم أحياناً عن التأكيد، وقد يؤكد ما لا يتطلب التأكيد لأغراض ستعرفها إن شاء الله عند الحديث عن خروج الخبر عن مقتضى الظاهر.

(٢) الحروف التي تزاد للتوكيد هي: إنْ وأنْ ساكنتا النون، وما، ولا، ومن، والباء.

(٣) ضمير الفصل هو الضمير الذي يؤتى به للفصل بين الخبر والصفة نحو قولنا: محمد هو النبي، فالضمير هنا أكد إسناد النبوة إلى محمد، وأن كلمة (النبي) خبر عنه لا صفة له.

تدريب

بيّن أضرب الخبر فيما يأتي، وعين أدوات التوكيد:

١ – يقولُ المتنبي:

وكلُّ امرئ يولي الجميلَ مُحبَّبٌ ... وكلُّ مكانٍ يُنبتُ العزَّ طيّبُ

٢ – ويقولُ:

على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ ... وتأتي على قدرِ الكرامِ المكارمُ

وتكبرُ في عينِ الصغيرِ صغارُها ... وتصغرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ

٣ – ويقولُ:

وما كلّ هاوٍ للجميلِ بفاعلٍ ... ولا كلّ فعّالٍ له بمتمّمِ

٤ – ويقولُ:

إنّي أصاحبُ حِلْمي وهو بي كرمٌ ... ولا أصاحبُ حِلْمي وهو بي جُبْنُ

٥ – ويقولُ:

من يَهُن يَسْهلِ الهوانُ عليه ... ما لجرحٍ بميّتٍ إيلامُ

٦ – يقولُ الشريفُ الرضيّ:

قد يَبْلُغُ الرجلُ الجبانُ بمالِه ... ما ليسَ يبلُغُه الشجاعُ المُعْدِمُ

٧ – يقولُ أبو نواس:

ولقد نَهَزْتُ [١] مع الغواةِ بدلْوِهم ... وأسَمْتُ [٢] سَرْحَ [٣] اللهوِ حيثُ أساموا

وبلغتُ ما بلغَ امرؤ بشبابِه ... فإذا عُصارةُ [٤] كلِّ ذاكَ أثامُ [٥]

٨ – وقالَ أعرابيّ:

ولم أرَ كالمعروفِ أمّا مذاقُه ... فحلوٌ وأمّا وجهُه فجميلُ

---

(١) نهزت الدلو: ضربتها في الماء لتمتلئ.

(٢) أسمت الإبل: أرسلتها إلى المرعى.

(٣) السّرح: المال السائم كالإبل ونحوها.

(٤) العصارة: ما يُتحلّب من الشيء بعد عصره.

(٥) الأثام: مصدر أثم يأثم إثماً وأثاماً.

٩ - ويقولُ البوصيري:

والنفسُ كالطفلِ إن تُهمِلْه شبَّ على حُبِّ الرَّضاعِ وإن تَفْطِمْه يَنْفَطِمِ

١٠ - خطبَ الرسولُ -صلى اللهُ عليه وسلم- قريشاً حين الجهرِ بالدعوةِ فقالَ:

«إنَّ الرائدَ لا يكذبُ أهلَه. والله لو كذبْتُ الناسَ ما كذبْتُكم، ولو غشَشْتُ الناسَ ما غشَشْتُكم، والله لتموتُنَّ كما تنامون، ولتُبعثُنَّ كما تستيقظون، ولتُجزَوُنَّ بالإحسانِ إحساناً، وبالسوءِ سوءاً، وإنها للجنةُ أبداً أو النارُ أبداً».

١١ - يقول الله تعالى:

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾[1].

(١) سورة القلم (١ - ٤).

رابعاً - خروجُ الخبرِ عن مقتضى الظاهرِ

عرفنا من دراستنا لأضربِ الخبرِ الثلاثةِ: الابتدائي، والطلبي، والإنكاري أنّ الخبرَ يلقى إلى خالي الذهنِ من مضمونِه خالياً من التوكيد، ويحسن توكيدُه لمن هو متردد في تصديقِه لمضمونِ الخبرِ، ويجبُ توكيدُه لمن هو منكرٌ له. وجريانُ الخبرِ على هذه الصورةِ أي وفقَ ما يقتضيه حالُ المخاطبِ من تصديقٍ أو شكٍّ أو إنكارٍ هو ما يعرفُ بمقتضى الظاهرِ، ولكن الخبرَ قد يخرجُ عن مقتضى الظاهرِ لدواعٍ بلاغيةٍ نعرفها من بحثِ الأمثلةِ التالية:

الأمثلة:

١ - (۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ)[١].

٢ - (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝)[٢].

٣ - (عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ)[٣].

٤ - (ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝)[٤].

٥ - «إن بر الوالدين لواجب». تقال لمن لا يطيع والديه.

٦ - قال حَجَل بن نَضْلَةَ القيسي:

جـــاءَ شَـقـيـقٌ عـــارضـــاً رمـحَــه   إنّ بـنـي عـمّـك فـيـهـم رمـــاحُ

* * *

٧ - (وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ)[٥].

٨ - «العلمُ نافعٌ» تقالُ لمن يجحدُ فضلَ العلم.

٩ - «الجهلُ ضارٌّ» تقالُ لمن ينكرُ ضررَ الجهلِ.

---

(١) سورة يوسف من الآية (٥٣).
(٢) سورة الحج (١).
(٣) سورة التوبة من الآية (١٠٣).
(٤) سورة المؤمنون (١٥).
(٥) سورة البقرة (١٦٣).



البيــــان:

لاحظِ الأمثلةَ الثلاثةَ الأولى تجدِ الأخبار: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[1] و﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝ ﴾[2] و﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[3] قد أُلقيت إلى خلي الذهن من مضامينها مؤكدة على خبر ما يقتضيه الظاهر، فلمه؟

إن جملة ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ﴾[4] في المثال الأول تشير إلى أن النفس محكوم عليها بشيء غير محبوب، وبذا أصبح المخاطب بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾[5] متطلعاً إلى نوع هذا الحكم الذي يجهله، ولا يدري حقيقته، ومن أجل ذلك نُزِّل هذا المخاطب منزلة المتردد الشاك، وأُلقي إليه الخبرُ مؤكداً استحساناً.

وفي المثالِ الثاني ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝ ﴾[6] لا يقتضي الظاهرُ توكيدَ الخبرِ لأنّ المخاطبَ به خالي الذهن من الحكم، ولكنّ قولَه تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾[7] يُشعرُ بهذا الحكم بما يجعلُ المخاطب متطلعاً إليه وكأنّه يتساءلُ عن جدوى إجابةِ الطلبِ ﴿ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾ ومغبة عدمِ الاستجابةِ إليه، فنُزِّل منزلةَ السائلِ المترددِ، واستُحسنَ توكيدُ الخبرِ له.

وفي المثالِ الثالثِ تقدّمَ على الخبرِ ما يشعرُ بنوعِ الحكم، فقولُه تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾[8] يحملُ المخاطَبَ على التساؤلِ عن جدوى صلاةِ الرسول -صلى اللهُ عليه وسلم- على المؤمنين، فأُلقي إليه الخبرُ ﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[9] مؤكداً استحساناً.

ففي الأمثلةِ الثلاثةِ الأولى نُزِّلَ خالي الذهنِ منزلةَ المترددِ الشاكِّ لأنّ الخبرَ تقدّمَ عليه ما يشيرُ إلى حكمِه ومضمونِه.

---

(1) يوسف (53).
(2) الحج (1).
(3) التوبة (103).
(4) يوسف (53).
(5) يوسف (53).
(6) الحج (1).
(7) الحج (1).
(8) التوبة (103).
(9) التوبة (103).



تأملِ الأمثلةَ الثلاثةَ التاليةَ (من الرابعِ إلى السادسِ) تجدها مؤكدةً خلافاً لمقتضى الظاهرِ؛ فلا أحدٌ ينكرُ حقيقةَ الموتِ، ولا أحدٌ ينكرُ وجوبَ برّ الوالدين، كما لا ينكرُ (شقيق) امتلاكَ بني عمّه للرماحِ، فلماذا خرجت هذه الأخبارُ عن مقتضى الظاهرِ؟

إنَّ الناسَ رغمَ علمِهم بحقيقةِ الموتِ وأنّه آتٍ لا محالةَ نراهم متكالبين على مطالبِ العيشِ وكأنّهم مخلدون أبداً، ولا يبذلون في حياتِهم الدنيا التي علموا أنهم تاركوها ما ينفعهم في الآخرةِ الباقيةِ. إن حالَهم هذه تؤكدُ نسيانَهم لحقيقةِ الموتِ وكأنّهم منكرون لها، فأُلقيَ الخبرُ إليهم مؤكداً لظهورِ أماراتِ الإنكارِ عليهم، وإن كانوا في حقيقةِ الأمرِ غيرَ منكرين له.

وفي المثالِ الرابعِ «إنّ برّ الوالدين لواجبٌ» أُلقيَ الخبرُ مؤكداً إذ لا ينكرُ المخاطبُ وجوبَ برّ الوالدين، ولا يتردّدُ فيه ولكن لما كانَ المخاطبُ غيرَ مطيعٍ لوالديه نُزّلَ منزلةَ المنكرِ لوجوبِ برّ الوالدين لظهورِ أماراتِ الإنكارِ عليه.

أما شاعرُ قيس في المثالِ السادسِ في خطابِه لابن عمّه (شقيق) فيعلمُ أنَّ (شقيقاً) لا ينكرُ وجودَ الرماحِ في بني عمّه وامتلاكِهم لأدواتِ الحربِ ولكنّ مجيئَه عارضاً رمحَه أي واضعاً رمحَه على فخذَيه في غيرِ تأهّبٍ لقتالٍ يشيرُ إلى استهانةِ (شقيق) ببني عمّه وكأنه ينكرُ وجودَ رماحِهم، فأكّدَ له الشاعرُ الخبرَ الذي لا ينكرُه «إنّ بني عمّك فيهم رماحٌ» لظهورِ أماراتِ الإنكارِ عليه.

ففي الأمثلةِ الثلاثةِ (من الرابعِ إلى السادسِ) نُزّلَ غيرُ المنكرِ منزلةَ المنكرِ لظهورِ أماراتِ الإنكارِ عليه.

تأملِ الأمثلةَ الثلاثةَ الأخيرةَ من (السابعِ إلى التاسعِ) تجدها خاليةً من التوكيدِ وقد كانَ الظاهرُ يقتضي توكيدَها؛ فالخطابُ في المثالِ السابعِ ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [1] موجّهٌ إلى المنكرين لوحدانيةِ الله، ولكنّ اللهَ تعالى لم يكترث بإنكارِهم، وألقى إليهم الخبرَ خالياً من

(١) البقرة/١٦٣.

التوكيدِ لأنّ لديهم من الأدلةِ الساطعةِ والشواهدِ المقنعةِ ما لو تدبّروه وعقلوه لعدلوا عن إنكارِهم، وأقرّوا بوحدانيةِ اللهِ وتفرّدِه.

وكذلك كانَ الخطابُ لمن ينكرُ نفعَ العلمِ في المثالِ الثامنِ ومن ينكرُ ضررَ الجهلِ في المثالِ التاسعِ غيرَ مؤكدٍ لعدمِ الحاجةِ إلى تأكيدِ العلمِ أو تأكيد ضررِ الجهلِ؛ فالآثارُ الحميدةُ للعلمِ، والآثارُ الضارةُ للجهلِ باديةٌ لكلّ ذي إدراكٍ، فلدى المخاطَبِ من الأدلةِ على نفعِ العلمِ ومن الأدلةِ على ضررِ الجهلِ ما لو تدبره لعدلَ عن إنكارِه، ولذا لم يرَ المتكلمُ حاجةً لتأكيدِ أيّ من الخبرين.

فالأمثلةُ الثلاثةُ الأخيرةُ نُزّلَ فيها المنكرُ كغيرِ المنكرِ لما لديه من الشواهدِ والأدلةِ التي لو تأمّلها لعدلَ عن إنكارِه.

الخلاصة:

١ - إذا أُلقِيَ الخبرُ خالياً من التوكيدِ لخالي الذهنِ، ومؤكداً استحساناً للسائلِ المتردّدِ، ومؤكداً وجوباً للمنكرِ - كانَ ذلكَ الخبرُ جارياً على مقتضى الظاهرِ.

٢ - قد يجري الخبرُ خلافَ ما يقتضيه الظاهرُ أي يخرجُ عن مقتضى الظاهرِ لاعتباراتٍ يلحظُها المتكلمُ، ومنها:

أ - أن يُنزّلَ خالي الذهنِ منزلةَ السائلِ المترددِ إذا تقدمَ في الكلامِ ما يشيرُ إلى حكمِ الخبرِ.

ب - أن يُجعَلَ غيرُ المنكرِ كالمنكرِ لظهورِ أماراتِ الإنكارِ عليه.

جـ - أن يُجعَلَ المنكرَ كغيرِ المنكرِ إنْ كانَ لديه شواهدُ وأدلةٌ لو تأمّلها لعدلَ عن إنكارِه.

٣ - تتمثلُ بلاغةُ الخبرِ في مطابقتِه لحالِ السامعين سواء في ذلك ما جرى منه على مقتضى الظاهرِ وما خرجَ عن مقتضى الظاهرِ.

تدريب



أ- بينِ السببَ في خروجِ الخبرِ عن مقتضى الظاهرِ في كلّ مما يأتي:

١ - ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[1].

٢ - «الفراغُ مفسدةٌ» تقالُ لمنْ ينكرُ ما يسبّبه الفراغُ من الفساد.

٣ - «إنَّ الفراغَ لمفسدةٌ» تقالُ لمن يعرفُ ذلك، ولكنّه يكرهُ العملَ بمقتضاه.

٤ - «اللهُ موجودٌ» تقال لمنْ ينكر وجودَ الله.

ب - بيّنْ ما جرى على مقتضى الظاهرِ وما خرجَ عنه من الأخبارِ التاليةِ معَ ذكرِ السببِ:

١ - ما كلُّ ما يتمنى المرءُ يدركه   تأتي الرياحُ بما لا تشتهي السفنُ

٢ - لا يألفُ الدرهمُ المضروبُ صرتَنا   لكنْ يمرُّ عليها وهو منطلقُ

٣ - ترفّقْ أيُّها المولى عليهم   فإنّ الرفقَ بالجاني عتابُ

٤ - للهِ درُّ بني عبسٍ لقد نسلوا   من الأركامِ ما قد تنسلُ العربُ

٥ - العلمُ يبني بيوتاً لا عمادَ لها   والجهلُ يهدمُ بيتَ العزِّ والشرفِ

٦ - والخِلُّ كالماءِ يُبدي لي ضمائره   مع الصفاءِ ويُخفيها مع الكَدَرِ

---

(١) هود/٣٧.

الأسلوبُ الإنشائي

تمهيد:

عرفنا أنّ الخبرَ إعلامٌ بشيءٍ له وجودٌ خارجيٌ يمكنُ أنْ يقاسَ عليه ليعرفَ إن كانَ صدقاً أو كذباً، وأنّ الإنشاءَ إنّما ينشئه المتكلمُ ليتحققَ مدلولُه بعدَ النطقِ به أو معه، فهو لا ينقلُ خبراً، ولا يحتملُ الصدقَ أو الكذبَ، وإنما ينشئُ به قائلُه شيئاً كأنْ يأمرَ بأمرٍ ما، أو ينهى عن شيءٍ ما، أو يستفهمَ، أو ينادي، أو يتمنى، أو يمدحَ، أو يذمَ، أو يتعجبَ أو يقسمَ... إلى غير ذلك مما ليسَ لمدلولِه قبلَ النطقِ به وجودٌ خارجيٌ يمكنُ أنْ يقاسَ عليه.

والإنشاءُ قسمان: طلبيٌ، وغير طلبيٍ، فالإنشاءُ الطلبيّ هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصلٍ وقتَ الطلبِ أي يسبق وجودَ لفظِه على وجودِ معناه، أما الإنشاءُ غيرُ الطلبي فلا يستدعي مطلوباً أي لا يدل على طلب، ويقترن فيه الوجدان: وجودُ اللفظِ، ووجودُ المعنى؛ أي يتحققُ وجودُ معناه في الوقتِ الذي يتحققُ فيه وجودُ لفظه. والذي يُعنَى به الدرسُ البلاغيّ منهما هو الإنشاءُ الطلبيّ لكثرة الأغراضِ البلاغيةِ التي تتعلقُ به ولاتصالِه بوجدانِ المتكلمِ وحالِ المخاطبِ والموقفِ. وأشهرُ أنواعِه خمسةٌ هي: الأمرُ، والنهي، والاستفهامُ، والنداءُ، والتمني[1].

---

(1) ومنه العرض والتحضيض والجمل الدعائية، وجميعها تدل على طلب؛ فالعرض بفتح العين وسكون الراء طلب في رفق، وأداته (ألا) بتخفيف اللام، والتحضيض طلب في حث وإزعاج وأداته (هلا) بتشديد اللام. والجمل الدعائية طلب كذلك، ولكنها قد تكون إنشائية اللفظ والمعنى، وقد تكون خبرية اللفظ إنشائية المعنى كقولك: شفاك الله وعافاك.

أسلوبُ الأمر

أولاً – الأمرُ الحقيقي (معناه وصيغهُ)

الأمثلة:

١ – (وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ)[1].

٢ – (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟)[2].

٣ – (فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝)[3].

٤ – (وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ۝)[4].

....

٥ – (عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ)[5].

٦ – حيَّ[6] على الصلاة.

....

٧ – (وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا)[7].

٨ – قالَ قطريّ بن الفجاءةِ مخاطباً نفسَه:

فصبراً في مجالِ الموتِ صبراً ... فما نيلُ الخلودِ بمستطاعِ

....

البيـــان:

إذا تأملنا الأمثلةَ السابقةَ وجدنا أنّ كلاً منها يشتملُ على صيغةٍ يُطلبُ بها على وجهِ التكليفِ والإلزامِ حصولُ شيءٍ لم يكن حاصلاً وقتَ الطلب، وأنّ طالبَ الفعلِ أعظمُ وأعلى ممن

---

(١) البقرة (١١٠).
(٢) آل عمران (٢٠٠).
(٣) قريش (٣-٤).
(٤) الحج (٢٩).
(٥) المائدة (١٠٥).
(٦) بمعنى أقبل.
(٧) النساء (٣٦).



طلبَ منه؛ ففي المثالِ الأولِ طلبٌ بإقامةِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ، وهذا الطلبُ صادرٌ عن ربِّ العزةِ لعبادِهِ أي من الأعلى إلى الأدنى. وكذلك الطلبُ في المثالِ الثاني بالصبرِ والمصابرةِ والمرابطةِ. وفي كلا المثالين تحققَ الطلبُ بفعلِ الأمر.

أما المثالان: الثالثُ، والرابعُ فقد تحققَ الطلبُ فيهما بالمضارعِ المقرونِ بلامِ الأمرِ (فليعبدوا) في المثالِ الثالثِ، و(ليوفوا) و(ليطوّفوا) في المثالِ الرابع. وتحققَ الطلبُ في المثالين: الخامسِ، والسادسِ باسمِ فعلِ الأمر (عليكم) في المثالِ الخامسِ، ومعناه (الزموا) و(حيّ) في المثالِ السادسِ، ومعناه أقبلوا. أما المثالان: السابعُ، والثامنُ فقد تحققَ الطلبُ فيهما بالمصدرِ النائبِ عن فعلِ الأمر إذ التقديرُ (أحسنوا إحساناً)، و(اصبري صبراً).

الخلاصة:

١ - الأمرُ طلبُ الفعلِ على وجهِ الاستعلاءِ [1] والإلزام.

٢ - للأمرِ أربعُ صيغٍ هي:

أ - فعلُ الأمر.

ب - المضارعُ المقرونُ بلامِ الأمر.

جـ - اسمُ فعلِ الأمر.

د - المصدرُ النائبُ عن فعلِ الأمر.

---

(١) المقصود بالاستعلاء أن ينظر الآمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يوجه الأمر إليه سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا.

ثانياً: خروجُ الأمرِ عن حقيقتِه

الأمثلة:

١ – ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ۝﴾[1].

٢ – قال المتنبي مخاطباً سيفَ الدولة:

أَزِلْ حسدَ الحُسَّادِ عني بكَبْتِهِمْ ... فأنتَ الذي صيّرتَهمْ ليَ حُسَّدا

....

٣ – وقالَ البارودي في منفاه:

يا نديميَّ من سرنديب كُفّا ... عن ملامي وخلّياني لما بي

يا خليليَّ خلّياني وما بي ... أو أعيدا إليَّ عهدَ الشبابِ

٤ – وقالَ امرؤ القيس:

قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ ... بِسِقْطِ اللِّوى بين الدَّخول فحَوْمَلِ[2]

....

٥ – وقالَ عنترة:

يا دارَ عبلةَ بالجِواء تكلّمي ... وعمي صباحاً دارَ عبلة واسلمي

٦ – وقالَ أبو العلاء:

فيا موتُ زُرْ إنَّ الحياةَ ذميمةٌ ... ويا نفسُ جِدّي إنَّ دهرَكِ هازلُ

....

٧ – وقالَ حكيمٌ لولده:

يا بُنيَّ استعذ باللهِ من شرارِ الناس، وكنْ من خيارِهم على حذر.

---

(١) آل عمران (١٩٣).

(٢) سقط اللوى، والدخول، وحومل أسماء مواضع.

٨ – وقالَ الشاعر:

شاوِرْ سِواكَ إذا نابَتْكَ نائبةٌ ... يوماً وإن كنتَ من أهلِ المشوراتِ

....

٩ – وقالَ بشارُ بن بُرْد:

فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاكَ فإنّه ... مقارفُ ذنبٍ مرةً ومجانِبُه

١٠ – وقالَ مهيار الديلمي:

وعِشْ إما قرينَ أخٍ وفيٍّ ... أمينِ الغيبِ أو عيشَ الوِحادِ

....

١١ – ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾[1].

١٢ – أرسلَ أبو فراسٍ إلى سيفِ الدولة:

فقلْ ما شئتَ فيّ فلي لسانٌ ... مليءٌ بالثناءِ عليكَ رَطْبُ

وعامِلْني بإنصافٍ وظلمٍ ... تجدْني في الجميعِ كما تحبُّ

....

١٣ – ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[2].

١٤ – قال الشاعر:

أروني بخيلاً طالَ عمراً ببخلِهِ ... وهاتوا كريماً ماتَ من كثرةِ البَذْلِ

....

١٥ – ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[3].

---

(١) البقرة: ١٨٧.
(٢) البقرة: ٢٣.
(٣) فصلت: ٤٠.



١٦ - قالَ أبو تمام:

إذا لم تخشَ عاقبةَ الليالي ولم تستحيِ فاصنعْ ما تشاءُ

....

١٧ - قال تعالى: ﴿ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[1].

١٨ - قالَ المتنبي:

عِشْ عزيزاً أو مُتْ وأنتَ كريمٌ بينَ طعنِ القنا وخفقِ البنودِ[2]

....

١٩ - قال تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾[3].

٢٠ - قالَ جرير في هجاء الفرزدق:

خذوا كُحْلاً ومَجْمَرةً وعِطْراً فلستم يا فرزدقُ بالرجالِ

....

البيان:

عرفنا أنّ الأمرَ طلبُ الفعلِ على وجهِ الاستعلاءِ والإلزام، وهذا يعني أن يكونَ الآمرُ أعلى منزلةً من المأمورِ بالفعلِ حقيقةً أو تقديراً، فالأمرُ الصادرُ من الأعلى إلى الأدنى، ويقتضي وجوبُ تنفيذِه يكونُ جارياً على حقيقتِه، أي يكونُ غرضُه المعنى الحقيقيّ للأمر. فماذا لو لم يكن صادراً عن الأعلى؟ وماذا لو لم يكن مقتضياً وجوبَ العملِ به وإنْ كانَ صادراً عن الأعلى؟ إنه بذلك يكونُ قد فارقَ معناه الأصلي؛ أي خرجَ عن حقيقتِه لأغراضٍ أخرى تفهمُ من السياقِ وقرائنِ الأحوالِ تُعرف بالأغراضِ البلاغيةِ للأمر.

(١) التوبة (٥٣).

(٢) البنود جمع بند، وهو العلم الكبير.

(٣) الدخان (٤٩).

انظر في المثالي: الأول، والثاني تجد أنّ الاستعلاءَ والإلزامَ قد انتفيا عنهما، فالطلبُ في المثالِ الأولِ صادرٌ عن المؤمنين، والمخاطَبُ به ربُّ العزةِ سبحانه وتعالى، وقولُهم: ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾(١). ليس إلا دعاً بالعفوِ والرحمة. والطلبُ في المثالِ الثاني صادرٌ عن الشاعرِ إلى مليكه الذي هو أعلى منه منزلةً بما ينفي عنه الاستعلاءَ والإلتزام، ويجعلهُ دعاءً بالعون. وكذلك كلّ طلبٍ على سبيلِ الاستغاثةِ أو العونِ أو العفوِ أو الرحمةِ أو ما أشبه ذلك، ويكونُ من الأدنى إلى الأعلى.

أما في المثالين: الثالثِ، والرابعِ فإن الشاعرَ في كلّ منهما يخاطبُ رفيقيهِ اللذين يساويانه قدراً منزلة، وهذا يُخرِجُ الأمرَ عن حقيقتِهِ إلى غرضٍ آخرَ هو الالتماس.

وكذلك كلّ طلبٍ بين الأندادِ والنظراءِ المتساوين قدراً ومنزلة.

انظر في المثالين: الخامسِ، والسادس تجدِ الشاعرَ في كلّ منهما يطلبُ شيئاً، ولكنّه صعبُ المنال؛ فعنترةُ في المثالِ الخامسِ يطلبُ إلى دارِ محبوبته أن تكلمَ لتخبرَه بما تتوقُ إليه نفسُه، وهو يعلمُ أنّ تكلمَ الدارِ مستحيل، ولكنّه يتمنّاه. وكذلك أبو العلاء في طلبِهِ زيارةَ الموتِ رغبةً في التخلصِ من الحياةِ التي يراها ذميمة، فالشاعرُ يتمنى قدومَ الموتِ قبلَ موعده. وكل طلبٍ لأمرٍ محبوبٍ صعبِ المنالِ يكونُ غرضهُ التمني.

وفي المثالين: السابعِ، والثامنِ تجدُ الطلبَ فيهما نصحاً للمخاطب، فالحكيمُ والشاعرُ كلاهما يطلبُ إلى المخاطبِ فعلَ ما ينفعُه وإنْ كانَ الطلبُ قد جاءَ بصيغةِ الأمرِ إلا أنّه فارقَ معناه الأصلي إلى غرضٍ آخرَ هو النصحُ والإرشاد. وكذلك كلّ طلبٍ يحملُ في طيّاتِهِ معنى النصيحة.

أما بشارُ بنُ برد ومهيارُ الديلمي في المثالين: التاسعِ والعاشرِ فكلّ منهما يخيّر مَن يخاطبُه بين أمرينِ يمتنعُ الجمعُ بينهما، فغرضُ كلا الشاعرين هنا التخيير. وكذلك كلّ طلبٍ إلى

---

(١) آل عمران: ١٩٣.



المخاطبِ أنْ يختارَ بين أمرين أو أكثرِ مع امتناعِ الجمعِ بين الأمرين أو الأمورِ التي يُطلبُ إليه أن يختارَ بينهما.

وفي المثالين: الحادي عشرَ، والثاني عشرَ نجدُ أنّ المخاطبَ قد أُبيحَ له فعلُ الشيءِ وتركُه على السواء، فالأمرُ بالأكلِ والشربِ في ليلِ رمضانَ ليس على سبيلِ الوجوبِ بل على سبيلِ الإباحة. وأبو فراس يبيحُ لابن عمه أن يقولَ فيه ما يشاء إنْ خيراً وإن شراً، ويبيحُ له أن يعاملَه بما يشاءُ إن عدلاً وإن ظلماً، فلن يتغيّرَ عليه في جميعِ الأحوالِ جميعِها. وكذلك كلّ طلبٍ يتوهمُ المخاطبُ أنّ فعلَه محظورٌ عليه، فيكونُ الأمرُ إذناً له بالفعلِ ولا حرجَ عليه في الترك.

أما المثالان: الثالث عشر، والرابع عشر فنرى المتكلمَ يطلبُ إلى المخاطبِ فعلَ ما لا يقوى عليه؛ فالإتيانُ بسورةٍ من مثلِ القرآن الكريم أمرٌ لا يقوى عليه الإنسُ والجنُّ جميعاً، فكيفَ يُطلبُ إلى بعضِ الإنسِ أن يفعلوه؟ إنّ الطلبَ هنا إنما جاءَ لإثباتِ عجزِهم عن الفعل، فغرضُه التعجيز. وطلبُ الشاعر أن يريه المخاطبُ بخيلاً أطالَ البخلُ عمرَه أو كريماً أماته كثرةُ عطاياه إنما جاءَ تعجيزاً للمخاطب. وكذلك كلّ مطالبةٍ للمخاطبِ بعملٍ ما لا يقوى عليه إظهاراً لعجزه.

انظر في المثالين: الخامس عشر، والسادس عشر تجدِ الطلبَ فيهما ينطوي على تهديدٍ للمخاطبِ وتخويفٍ له من سوءِ العاقبة؛ فالطلبُ إلى الناسِ بفعلِ ما يشاؤون مع إعلامِهم بأنّ اللهَ بصيرٌ بما يعملون ليس إلا تخويفاً لهم من فعلِ ما لا يرضي الله الذي لا تخفى عليه أعمالُهم، وتهديداً لهم بسوءِ العاقبةِ إن هم فعلوه. وأبو تمام لا يطالبُ المخاطبَ بصنعِ ما يشاء، فقد خوّفَه من سوءِ العاقبةِ بما جعلَه شرطاً لصنعِه. وكذلك كلّ استعمالٍ لصيغةِ الأمرِ من جانبِ المتكلمِ في مقامِ عدمِ الرضا منه بقيامِ المخاطبِ بفعلِ ما أمرَ به تخويفاً له وتحذيراً.

وفي المثالين: السابع عشر، والثامن عشر نجدُ الطلبَ فيهما قد سوّى بين شيئين لا يرجح

أحدُها الآخرَ؛ فالإنفاقُ طوعاً يستوي مع الإنفاقِ كرهاً لأنّ أيّاً منهما لن يتقبلَه اللهُ فعلمِه بما كنتم عليه من فسوقٍ، فلا تظنوا أن طواعيةَ الإنفاقِ وأنتم فاسقون تسوّغُ لفعلكم تقبلَ اللهِ له، فصيغةُ الأمرِ هنا إنما جاءت للتسويةِ بين الحالين. والمتنبي يسوي بين العيشِ في عزةٍ والموتِ في مواطنِ النبلِ والكرمِ. وكذلك كلّ استعمالٍ لصيغةِ الأمرِ في مقامٍ يتوهم فيه أنّ أحدَ الشيئين أرجحُ من الآخر.

انظر في المثالين: التاسع عشر، والعشرين تجد صيغةَ الأمر فيهما جاءت لتحقيرِ المخاطبِ، فقولُ اللهِ تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[1] موجه إلى الأثيم وقد أمرَ اللهُ ملائكةَ العذابِ أن يصبوا فوقَ رأسِه من عذابِ الحميمِ. وجريرٌ يطلبُ إلى الفرزدقِ أن يقتنيَ ما تتجملُ به النساءُ لينفيَ عنه وعن قومِه الرجولةَ تحقيراً لهم واستصغاراً. وكذلك كلُّ استعمالٍ لصيغةِ الأمرِ يقصدُ به المتكلمُ استصغارُ المخاطبِ والتقليلِ من شأنِه.

الخلاصة:

قد تخرجُ صيغُ الأمرِ عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تستفادُ من سياقِ الكلامِ كالدعاء، والالتماس، والتمني، والنصح، والتخيير، والإباحة، والتعجيز، والتهديد، والتسوية، والتحقير[2].

---

(1) الدخان (٤٩).

(2) هناك أغراض أخرى، ولكنها قليلة الاستعمال منها: أ- التسخيرُ نحو قوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (الأعراف، ١٦٦). ب- التحسيرُ نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ (آل عمران، ١١٩). التسليمُ نحو قوله تعالى على لسان سحرة فرعون ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ (طه، ٧٢). التعجب نحو قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ (مريم، ٣٨). وقد يكونُ اللفظ أمراً والمعنى خبرٌ نحو قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ (التوبة، ٨٢). فالمعنى أنهم سيضحكون قليلاً وسيبكون كثيراً.

أ - عين ما جاءَ على حقيقتِهِ وما خرجَ عنها من صيغِ الأمرِ الآتية:

١ - أحسِنْ إلى الناسِ تستعبد قلوبَهُم | فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

٢ - (خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا)[1].

٣ - فمن شاء فليبخلْ ومن شاء فليَجُدْ | كفاني قراكُمْ عن جميع المطالبِ

٤ - (فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ)[2].

٥ - (يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ)[3].

٦ - (يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ۝)[4].

٧ - (ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝)[5].

....

ب - عين الغرضَ البلاغيَّ للأمرِ في كلِّ مما يأتي مع بيانِ القرينةِ الدالةِ عليه:

١ - قالَ البارودي:

فانهضْ إلى صهواتِ المجدِ مُعتلياً | فالبازُ لم يأوِ إلا عاليَ القُلَلِ[6]
وكُنْ على حذرٍ تسلمْ فرُبَّ فتى | ألقى به الأمنُ بينَ اليأسِ والوجلِ
واخشَ النميمةَ واعلم أن صاحبها | يُصْليكَ من حرّها ناراً بلا شُعَلِ

٢ - قالَ الطغرائي:

حُبُّ السلامةِ يَثْني هَمَّ صاحبِه | عن المعالي ويُغري المرءَ بالكسلِ
فإنْ جَنحتَ إليه فاتخذْ نفقاً | في الأرضِ أو سُلَّما في الجوّ فاعتزِلِ

---

(١) التوبة (١٠٣).
(٢) محمد (٤).
(٣) مريم (١٢).
(٤) الرحمن (٣٣).
(٥) الفاتحة (٦-٧).
(٦) الباز: الصقر، والقلل جمع قُلَّة وهي القمة العالية.

٣ - ﴿ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾[١].

٤ - قالَ إيليا أبو ماضي:

أحسنْ وإنْ لم تُجزَ حتى بالثّنا ... أيَّ الجزاءِ الغيثُ يبغي إن همَى؟

٥ - وقال آخر:

رويدَ الذي محّضْتَه الودَّ صافيا ... إذا ما هفا حتى يظلَّ أخاً لكا[٢]

٦ - تزوجْ بثينةَ أو أختها.

....

جـ - العب واترك الدراسة.

قد يكونُ الأمرُ في الجملتين السابقتين للنصح، وقد يكونُ للتوبيخ، وقد يكونُ للتهديد. فبيّن حال المخاطب في كل حالٍ من الأحوالِ الثلاث.

---

(١) إبراهيم (٣٠).

(٢) رويد: اسم فعل أمر بمعنى أمهل، ومحضته الود: أخلصت له الود.



أسلوب النهي

أولاً – النهيُ الحقيقيّ (معناهُ وصيغتُه)

الأمثلة:

١ – ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[١].

٢ – ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[٢].

٣ – ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾[٣].

٤ – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً ﴾[٤].

....

البيـــان:

بالنظرِ في الآياتِ الكريمةِ السابقةِ تجدُ أنّ كلاً منها يشتملُ على طلبٍ بالكفّ عن الفعلِ أي نهيٍ عنه. وهذا الطلبُ صادراً عنِ اللهِ سبحانه وتعالى إلى عبادِه؛ فالطلبُ أعلى وأعظمُ ممن طلبَ منه. وهذا هو النهيُ الحقيقي. وصيغةُ النهي في الأمثلةِ السابقةِ وفي غيرِها واحدةٌ لا تتغيرُ وهي المضارعُ المقرونُ بلا الناهية.

الخلاصة:

١ – النهيُ طلبُ الكفّ عن الفعلِ على وجهِ الاستعلاءِ والإلزام.

٢ – للنهي صيغةٌ واحدةٌ هي المضارعُ مع (لا) الناهية.

---

(١) الأنعام (١٥٢).
(٢) البقرة (١٨٨).
(٣) البقرة (٢٨٣).
(٤) آل عمران (١١٨).



ثانياً - خروجُ النهي عن حقيقته (الأغراضُ البلاغيةُ للنهي)

الأمثلة:

١ - (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ)[1].

٢ - قالَ النابغةُ الذبيانيّ للنعمانِ بنِ المنذر:

فلا تتركنّي بالوعيدِ كأنّني ... إلى الناسِ مطليٌّ به القارُ أجربُ

....

٣ - جاءَ على لسانِ هارون مخاطباً أخاه موسى عليهما السلام: (قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي)[2].

٤ - قالَ الشاعر:

لا تحسبوا البعدَ يُنسِيني مودّتكم ... هيهات هيهات أن تُنسَى على الزمنِ

....

٥ - قالَ الشاعر:

إيـهِ يا طيرُ لا تضنَّ بلحنٍ ... ينقذُ النفسَ من همومٍ كثيرة

٦ - وقالتِ الخنساءُ في أخيها صخر:

أعينيّ جودا ولا تجمُدا ... ألا تبكيان لصخرِ الندَى

....

٧ - قالَ أبو العلاء:

ولا تجلسْ إلى أهلِ الدّنايا ... فإنّ خلائقَ السفهاءِ تُعدي

---

(١) البقرة/٢٨٦.
(٢) طه/٩٤.

٨ – وقال شوقي:

لا تسمعوا للمُرْجفين[1] وجهلهم   فمصيبة الإسلامِ من جُهّالِهِ

....

٩ – ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾[2].

١٠ – قال أبو الأسود الدؤلي:

لا تنهَ عن خلقٍ وتأتيَ مثله   عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

....

١١ – قالَ الشاعر:

لا تطلبِ المجدَ إن المجدَ سُلَّمُه   صعبٌ، وعشْ مستريحاً ناعمَ البالِ

١٢ – وقالَ الحطيئةُ في الزبرقانِ بن بدر:

دعِ المكارمَ لا ترحل لبُغيتها   واقعد فإنك أنتَ الطاعمُ الكاسي

....

١٣ – ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[3].

١٤ – قال الشاعر:

لا تعرضنَّ لجعفرٍ متشبها   بندى يديه فلستَ من أندادِهِ

....

١٥ – لا تُقلع عن عنادِك، ولا تكفَّ عن أذى غيرك.

١٦ – قالَ أبو القاسم الشابيُّ موجهاً حديثَه إلى المستعمر:

رويدَكَ لا يخدعنْكَ الربيعُ   وصحوُ الفضاء وضوءُ الصباحْ

ففي الأفقِ الرّحبِ هولُ الظلامِ   وقصفُ الرعودِ وعصفُ الرياحْ

---

(١) المرجفون: من يخوضون في الأخبار السيئة ليوقعوا في الناس الاضطراب.

(٢) الحجرات (١١).   (٣) التوبة (٦٦).

١٧ – قالَ إسماعيلُ صبري:

لا تتركوا مستحيلاً في استحالتِه ... حتى يُميطَ [1] لكم عن وجهِ إمكانِ

١٨ – لا تستسلموا للصعابِ فإنّ مع العسرِ يسرا.

....

البيـــان:

النهيُ الحقيقيّ هو طلبُ الكفّ عن الفعلِ على وجهِ الاستعلاءِ والإلزام، ولكنّا نجدُ النهيَ في كثيرٍ من المواضعِ يخرجُ عن حقيقتِه ليؤدي معانيَ أخرى تستفادُ من السياقِ وقرائنِ الأحوالِ تسمى الأغراضُ البلاغيةُ للنهي.

انظر في المثالِ الأوّلِ تجد الطلبَ فيه صادراً عن عبادِ اللهِ المؤمنين، والمخاطَبُ به هو ربُّ العزةِ سبحانَه وتعالى، وهذا ينفي عن الطلبِ صفةَ الاستعلاءِ لأنّ المتكلمَ أدنى من المخاطبِ. والمؤمنون في الآيةِ الكريمةِ إنما يدعون ربّهم ألاّ يؤاخذَهم إنْ نسوْا أو أخطؤوا، وألّا يحمل عليهم ما يُتعبهم، وألّا يحمّلهم ما لا يستطيعون. فالغرض البلاغيّ هنا الدعاء. وفي المثالِ الثاني لا ينهى النابغةُ النعمانَ، وكيف ينهى الشاعرُ ملكاً توعّده. ولم يجد من الناس مَن يجيره، فشقي بوعيدِ الملكِ حتى صارَ كبعيرٍ أجربَ يتحاشى الناسُ قربَه؟ فصيغةُ النهي التي خاطبَ بها الشاعرُ الملكَ ليست إلا دعاءً يرجو به العفو. وكذلك كلّ نهي صادرٍ عن الأدنى إلى الأعلى منزلةً وشأناً.

وبالنظرِ في المثالين: الثالثِ، والرابعِ نجدُ المتكلمَ في كلّ منهما مساوياً للمخاطبِ قدراً ومنزلة؛ فهارونُ في المثالِ الثالثِ يخاطبُ أخاه، وكلاهما نبي، وإنما يلتمسُ هارون من موسى ألّا يأخذَ بلحيتِه ولا برأسِه كيلا يشمتَ به الأعداءُ. والشاعرُ في المثالِ الرابعِ يطلبُ

---

[1] يميط: يكشف.

ممن يودّهم، والذين هم على قدمِ المساواةِ معه قدراً ومنزلةً ألا يحسبوا البعدَ ينسيه مودّتَهم. فغرضُ النهي في المثالين الالتماس. وكذلك كلّ نهي يكونُ صادراً عن شخصٍ إلى آخر يساويه قدراً ومنزلة ما لم تكن هناك قرينةٌ أخرى تصرفُه إلى غرضٍ آخرَ كالنصحِ أو التهديدِ أو التحقيرِ أو غير ذلك.

انظر في المثالين: الخامس، والسادسِ تجد الشاعرَ في المثالِ الخامسِ يطلبُ إلى الطيرِ ألا يخلَّ عليه بألحانٍ تخففُ عنه همومَه. والخنساءُ في المثالِ السادسِ تطالبُ عينيها ألا يجفَّ دمعُهما بكاءً على صخرٍ. والشاعران كلاهما يخاطبُ ما لا يعقل [1]، ويعلمُ أنَّ المخاطبَ لن يكفَّ عن فعلِ ما نُهي عنه استجابةً لطلبِه، ولكنَّ الشاعرَ يتمنى أنْ يتحققَّ مراده من الطلب. فغرضُ النهي في المثالين التمني. وكذلك كلّ نهي يكونُ موجهاً إلى ما لا يعقل.

وبالنظر في المثالين: السابع، والثامنِ نجدُ الشاعرَ في كلّ منهما ينهي المخاطبَ عن فعلِ ما يجلبُ له الضرر؛ فأبو العلاء يطلبُ إلى المخاطبِ ألّا يجلسَ إلى أهلِ الدنايا كيلا تصيبُه عدوى طباعِهم، وهو بذلك إنما ينصحُ المخاطب، وشوقي ينهى عن سماعِ من يُفتون بغيرِ علمٍ فتوقع فتاواهم الناس في حيرةٍ واضطرابٍ، وما طلبُه إلا لنصحِ الأمة بما يقيها شرَّ الفتن. فالغرضُ البلاغي للنهي في المثالين النصحُ والإرشاد. وكذلك كل نهي يحملُ بين ثناياه نصحاً وإرشاداً.

عرفنا أنَّ الغرضَ البلاغيَّ لأسلوبٍ ما إنما يفهمُ من السياقِ والقرائن، فلابدَّ لمعرفةِ الغرضِ من قرينةٍ لفظيةٍ أو معنوية. وإذا تأمّلنا المثالَ التاسعَ نجدُ أنّ قولَ اللهِ تعالى: ﴿ **لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ** ﴾[2] إذا بحثناه بعيداً عما ذكرَ بعدَه من قولِه تعالى: ﴿ **عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ** ﴾ وبعيداً عن سببِ نزولِ تلك الآيات، وقد نزلت في قوم من بني تميم سخروا من بلال بن رباح وعمار بن ياسر وصهيب بن سنان وأمثالهم لما رأوا من رثاثةِ حالِهم - إذا بحثنا صيغةَ النهي بعيداً عما قرنت به من لفظٍ أو حالٍ فسوف نقرُ أنّها من النهي الحقيقي لأنّ

(١) المقصود بمن يعقل في اللغة ثلاثة، هي الإنس والجن والملائكة، وما دونها ليس عاقلاً في العرف اللغوي وإن ثبت لديه العقل.
(٢) الحجرات (١١).

الخطابَ فيها صادرٌ عن ربِّ العزة لعبادِهِ المؤمنين بتكليفٍ من تكاليفِ الإسلام الذي يتمُّ مكارمَ الأخلاق. ولكنَّ النهيَ هنا صاحبته قرينةٌ لفظيةٌ وأخرى معنويةٌ تكفي واحدةٌ منهما للدلالةِ على فعلِ المؤمنين ما لا يليقُ بهم وهو سخريةُ بعضهم من بعض، فكان النهيُ هنا توبيخاً لهم. وكذلك قولُ أبي الأسود؛ فقراءة البيت بمفردِهِ تشعرُ بأنَّ غرضه النصحُ، وهو ليسَ كذلك لأنَّ الشاعرَ يقولُ قبلَ هذا البيت:

يا أيها الرجلُ المعلِّمُ غيرَه	هلّا لنفسِك كانَ ذا التعليمُ
تصفُ الدواءَ لذي السِّقام وذي الضَّنى	كيما يَصحُّ به وأنت سقيمُ
ابدأ بنفسِكَ فانهها عن غَيِّها	فإذا انتهتْ عنه فأنت حكيمُ
فهناك يُسمعُ ما تقولُ، ويُشتفى	بالقولِ منك، وينفعُ التعليمُ

فقراءةُ البيتِ في سياقِهِ تؤكِّدُ أنَّ غرضَ الشاعرِ التوبيخ، وقد دلت عليه قرينةٌ لفظيةٌ تتمثلُ في قولِ الشاعرِ قبلَ النهي، وقد كشفَ هذا القولُ عن حالِ المخاطبِ الذي ينهى عن فعلِ شيء ويفعلُ مثلَه. فالغرضُ البلاغيُّ في الآيةِ الكريمةِ وفي بيتِ أبي الأسود التوبيخ. وكذلك كلّ نهي يكونُ فيه المنهيّ عنه أمراً لا يُشرِّفُ الإنسانَ ولا يليقُ أنْ يصدرَ عنه. تأملِ المثالين: الحادي عشر، والثاني عشر تجدِ النهي في كلٍّ منهما عن شيءٍ يتطلبُ الحثَّ عليه لا النهيَ عنه، فكيفَ ينهى الشّاعرُ عن طلبِ المجدِ أو الرحيلِ طلباً للمكارم؟ إنَّ الشاعرَ لا ينهى عن شيء من ذلك إلا إذا استصغرَ المخاطبَ ورآه ليسَ أهلاً لما يريد. فما الذي يمنعُ المخاطبُ من طلبِ المجدِ رغمَ صعوبةِ مرقاه إلا إذا كانَ ضعيفَ الهمةِ يُؤْثِرُ الراحةَ والدَّعة. فالغرضُ من النهي في المثالين التحقير. وكذلك كلّ نهي يكونُ إزراءً بالمخاطبِ وتقليلاً من شأنِهِ وقدراته.

أما المثالان: الثالث عشر، والرابع عشر فقد نُهي في الأولِ منهما عن الاعتذار، فقد تحققَ كفرُ المخاطبين بعد إيمانِهم، وهذا يجعلُ اعتذارهم عديمَ الجدوى، ويكشفُ عن معنى التيئيس من قبولِ اعتذارِهم. والشاعرُ ينهى المخاطبَ عن التشبهِ بجعفرٍ في جودِهِ تيئيساً له من

محاكاته، فهو ليسَ من أندادِه. فالغرضُ البلاغي للنهي في المثالين التيئيس، وكذلك كل نهي عن أمرٍ يرى المتكلمُ أنّ المخاطبَ لا يقوى عليه.

انظر في المثالين: الخامس عشر، والسادس عشر تجدِ المتكلمَ في الأول منهما يطلبُ إلى المخاطبِ ألّا يُقلعَ عن عنادِه، وألّا يكفَّ عن أذى الآخرين، وهو بذلك يطالبُه بما تسوءُ عقباه، فلمه؟ إنّ سوءَ العاقبةِ هذا لهو الدليلُ على أنّ المتكلمَ إنما يهدّدُ المخاطَبَ. وأبو القاسم يهددُ المستعمرَ بما سيعقبُ الهدوء الذي يراه فسوف يأتيه بعدَ اطمئنانه هولٌ لا قِبَلَ له به. وإنما دلّ على ذلك قولُه (رويدك) أي تمهل، ثم إخبارُه عن قسوةِ ما ينتظرُه من سوءِ العاقبة. فالغرضُ البلاغيّ للنهي في المثالين التهديد. وكذلك كلّ نهي يقصدُ به المتكلمُ تخويفَ المخاطبِ عاقبة القيامِ بفعلٍ لا يرضى عنه المتكلم.

وفي المثالين: السابع عشر، والثامن عشر نرى المتكلمَ في الأولِ منهما ينهى عن تركِ الأمورِ المستحيلةِ على ما هي عليه حتى يظهرَ للمخاطبين سبيلٌ لتحقيقها وكأنّه بذلك يحثّهم على المثابرةِ والجدِّ في تحقيقِ ما يبدو مستحيلاً فقد يكشفُ الصبرُ والمثابرةُ عن إمكانِ تحقيقِه. وفي المثالِ الأخيرِ نهي عن الاستسلامِ للصعابِ مقرونٌ بالأملِ في تذليلها فإنَّ مع العسرِ يسراً، وكفى بذلك دليلاً على أنّ المتكلمَ يحثّ المخاطبين على عدمِ الاستسلام. فالغرضُ من النهي في المثالين الحث. وكذلك كل نهي يحثّ على الانطلاقِ إلى عملٍ أو التغلبِ على صعوبةٍ أو مجابهةِ خطرٍ أو نحو ذلك مما تحمدُ عقباه.

الخلاصة:

قد تخرجُ صيغةُ النهي عن معناها الحقيقي إلى معانٍ أخرى تستفادُ من السياقِ وقرائنِ الحوال، كالدعاءِ، والالتماسِ، والتمني، والنصحِ، والتوبيخِ، والتحقيرِ، والتيئيسِ، والتهديدِ، والحثّ.

أ - عين ما هو حقيقيّ وما خرجَ عن حقيقتِهِ من أساليبِ النهي الآتية:

١ - (وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ)[1].

٢ - قالَ مسلمُ بنُ الوليد في هارون الرشيد:

لا يَعدِمَنْكَ حِمَى الإسلامِ من ملكٍ أقمتَ قُلَّتَهُ من بعدِ تأويدِ[2]

٣ - (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾)[3].

٤ - قالَ المتنبي في سيفِ الدولة:

فلا تُبلِغاهُ ما أقولُ فإنهُ شجاعٌ متى يذكرْ له الطّعنُ يشتقِ

٥ - (وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ)[4].

....

ب - عيّن الغرضَ البلاغيّ للنهي في كلّ مما يأتي:

١ - قالَ الشريفُ الرضي:

لا تأمَنَنَّ عدوّاً لانَ جانبُهُ خُشونةُ الصّلِّ عُقبى ذلك اللّينِ[5]

٢ - وقالَ الغزّيّ:

ولا تُثقلا جيدي بمنّةِ جاهلٍ أروحُ بها مثلَ الحمامِ مُطوَّقا

٣ - وقالَ المتنبي:

إذا غامرتَ في شرفٍ مَرومٍ فلا تقنعْ بما دونَ النّجومِ

---

(١) الحجرات (١١).
(٢) قلة كل شيء: أعلاه، والتأويد: التعويج.
(٣) النور (٢٧).
(٤) من الآية (٢٢) من سورة النور.
(٥) الصل بالكسر: الحية الشامة.

٤ – وقالَ الشاعر:

يا قلبُ لا تنثرْ أساكَ ولا تَطُفْ بالذِّكرياتِ وجوْهَنَّ المُحْرِقِ
لا تُنْهِضِ الأوجاعَ من أَوْكارها سوداءَ تَنْهشُ كالمغيظِ المُحْنَقِ

٥ – وقالَ آخر:

لا تَحْسَبِ المجدَ تمراً أنتَ آكِلُهُ لن تَبْلُغَ المجدَ حتى تَلْعَقَ الصَّبِرا

٦ – وقالَ غيره:

لا تَطْلُبِ المجدَ واقنعْ فمَطْلَبُ المجدِ صَعْبُ

أسلوب الاستفهام

أولاً – الاستفهامُ الحقيقي (معناه وأدواتُه)

أ – حرفا الاستفهام: الهمزة، وهل

الأمثلة:

١ – أخالدٌ فازَ بالجائزة أم أسامةُ؟

٢ – أكاتبٌ أنتَ أم شاعرٌ؟

٣ – أمبكراً حضرت إلى المدرسة أم متأخراً؟

٤ – أقلماً أهديت إلى صديقك أم كتاباً؟

....

٥ – أتصهرُ النارُ الأحجار؟

٦ – أيصدأُ الذهبُ؟

٧ – أتتحركُ الأرضُ؟

....

٨ – هل يُحسُّ النباتُ؟

٩ – هل تنامُ الطيورُ في الليلِ؟

١٠ – هل يتألمُ الحيوانُ؟

....

البيـــان:

في الأمثلةِ السابقةِ جميعها ترى المتكلمَ يطلبُ العلمَ بشيء لا يعلمه، ويبغي بسؤالِه في كلِّ



مثالٍ أنْ يعلمَ ما هو غيرُ معلومٍ له مستخدماً أحدَ حرفينِ هما: الهمزة، وهل.

عد إلى الأمثلةِ السابقةِ، وتدبرِ المجموعةِ الأولى منها (من الأولِ إلى الرابعِ) تجدِ السائلَ في كلّ منها يطلبُ تعيينَ أحدِ شيئينِ، فهو يعرفُ النسبةَ التي تضمنها الكلامُ، ولكنه يترددُ بين شيئينِ ويطلبُ تعيينَ أحدهما؛ ففي المثالِ الأوّلِ يعلمُ المتكلمُ أنّ الفوزَ بالجائزةِ قد وقع، وأنّ منسوبٌ إلى واحدٍ من اثنينِ يطلبُ إلى المسؤولِ أن يعيّنه له، أهو خالدٌ أم أسامة؟ ولذلك يكونُ جوابُه بالتعيينِ، فيقالُ له: «خالدٌ» مثلاً.

وفي المثالِ الثاني يعلمُ السائلُ أنّ واحداً من شيئينِ: الكتابة، أو الشعر قد نُسب إلى المخاطبِ فعلاً ولكنّه مترددٌ بينهما، فلا يعلمُ أهو الكتابةُ أم الشعر؟ فهو إذن لا يطلبُ معرفةَ النسبةِ لأنّها معروفةٌ له، ولكنّه يطلبُ تعيينَ أحدِ الشيئينِ اللذينِ تردّدَ في نسبتِهما إلى المخاطبِ، ولذا يكونُ جوابُه بالتعيينِ، فيقالُ له: «شاعرٌ» مثلاً.

وفي المثالِ الثالثِ يعلمُ المتكلمُ حقيقةَ حضورِ المخاطبِ إلى المدرسةِ، ولكنّه يطلبُ تعيينَ حالِه وقتَ الحضورِ أكانَ مبكراً أم متأخراً، وجوابُه يكونُ بتعيينِ تلك الحال، فيقالُ له: «حضرتُ مبكراً» مثلاً.

وفي المثالِ الرابعِ يعلمُ المتكلمُ أنَّ المخاطبَ أهدى إلى صديقِه شيئاً من اثنينِ: قلم أو كتاب، فهو لا ينكرُ النسبةَ التي تضمنَها الكلام، ولكنّه يطلبُ تعيينَ أحدِ الشيئينِ، ولذا يجابُ بالتعيينِ، فيقالُ له: «أهديتُه كتاباً» مثلاً.

عد إلى الأمثلةِ الأربعةِ الأولى مرةً أخرى تجد أداةَ الاستفهامِ في كلّ منها هي الهمزة، وغايةُ السؤالِ بها إدراكُ المفردِ أي تعيينُه. وإدراكُ المفردِ يعرفُ بالتصوّر.

وهمزةُ التصورِ في هذه الأمثلةِ وفي غيرِها يأتي المسؤولُ عنه بعدَها، ويذكرُ له معادلٌ [1] بعدَ (أم) أي أنّ ما بعدَ أم يدخلُ في إطارِ الاستفهامِ أي يشاركُ ما بعدَ الهمزةِ في كونِ كلّ منهما

(١) قد يُستغنى عن ذكر المعادل نحو قوله تعالى: ﴿أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء ٦٢)، ويقدر المعادل في الآية الكريمة: أم غيرك؟

مسؤولاً عنه، والمرادُ بالسؤالِ تعيينُ أحدِهما.

أنظر في الأمثلةِ من الخامسِ إلى السابعِ تجد السائلَ يجهلُ حقيقةَ ما يسألُ عنه، فهو متردّدٌ بينَ ثبوتِ النسبةِ ونفيها؛ ففي المثالِ الخامسِ يتردّدُ السائلُ بين ثبوتِ صهرِ النارِ للأحجارِ ونفيهِ عنها، ولذلك يطلبُ معرفةَ هذِهِ النسبة. ويكونُ جوابُهُ بنعم إنْ أُريدَ الإثبات، وبلا إنْ أُريدَ النفي.

وفي المثالِ السادسِ يتردّدُ السائلُ بين ثبوتِ الصدأ للذهبِ ونفيهِ عنه، ولذلك يطلبُ معرفةَ هذِهِ النسبة. ويكونُ جوابُهُ بنعم إنْ أُريدَ الإثبات، وبلا إنْ أُريدَ النفي.

وكذلك في المثالِ السابعِ، فالمتكلّمُ متردّدٌ بينَ ثبوتِ التحركِ للأرضِ ونفيهِ عنها. ويطلبُ معرفةَ هذِهِ النسبة. ويكونُ جوابُهُ بنعم أو بلا.

فالسائلُ في الأمثلةِ من الخامسِ إلى السابعِ يريدُ بسؤالِهِ إدراكَ النسبة، وهو ما يُعرفُ بالتصديق. والمسؤولُ عنه بهمزةِ التصديقِ - وهو النسبةُ - ليسَ له معادل.

مما سبق يتضحُ أنّ لهمزةِ الاستفهامِ استعمالين هما: طلبُ معرفةِ المفرد، ويسمّى تصوُّراً، وطلبُ معرفةِ النسبة، ويسمّى تصديقاً.

انظر في المجموعةِ الأخيرةِ من الأمثلة من الثامنِ إلى العاشرِ تجد المتكلّمَ في كلّ منها لا يطلبُ تعيينَ المفرد، ولكنّه متردّدٌ في معرفةِ النسبةِ أمثبتةٌ هي أم منفية، وما سؤالُهُ إلا لمعرفةِ تلك النسبة؛ فهو في المثالِ الثامنِ متردّدٌ بين ثبوتِ الإحساسِ للنباتِ ونفيهِ عنه.

ولذلك يطلبُ معرفة هذِهِ النسبة. ويكونُ جوابُهُ بنعم إن أُريدَ الإثبات، وبلا إنْ أُريدَ النفي.

وفي المثالِ التاسعِ يتردّدُ السائلُ بين ثبوتِ النومِ للطيورِ ونفيهِ عنها، ويبغي بسؤالِهِ معرفةَ هذِهِ النسبة. وإجابتُه تكونُ بنعم أو بلا.

وفي المثالِ العاشرِ نرى السائلَ متردداً بينَ ثبوتِ النومِ للحيوانِ ونفيهِ عنه، وغايتُه من السؤالِ معرفةُ هذِهِ النسبة. وإجابتُه تكونُ بنعم أو بلا. ولو أنّك تتبعت الأمثلةَ التي يستفهمُ فيها

بهل لوجدتها جميعَها يُطلبُ بها معرفةُ النسبة. فالحرفُ «هل» لا يكونُ إلا لطلبِ التصديق، ولذا يمتنعُ معه ذكرُ المعادل. وإذا جاءت (أم) بعدَ (هل) أو بعدَ همزةِ التصديقِ فإنّها تكونُ بمعنى (بل).

الخلاصة:

١ - الاستفهامُ طلبُ العلمِ بشيءٍ لم يكنْ معلوماً من قبل، ومن أدواتِهِ حرفان هما: الهمزةُ، وهل.

٢ - يطلبُ بالهمزة أحدُ أمرين:

أ - التصوّرُ وهو إدراكُ المفردُ، وفي هذه الحال تأتي الهمزةُ متلوّةً بالمسؤول عنه، ويُذكرُ له في الغالبِ معادلٌ بعدَ (أم).

ب - التصديق وهو إدراك النسبة، وفي هذه الحال يمتنع ذكر المعادل.

٣ - يطلب بهل التصديق ويمتنع معها ذكر المعادل.

١ - وقعت حرب بين المسلمين والتتار في عين جالوت؛ فإذا كنت تجهل الفائز منهما، فسل طالباً تعينه.

٢ - إذا كنت لا تعرف إن كان القمر ثابتاً في مكانه أو متحركاً، فسل عن ذلك بالهمزة مرة وبهل مرة أخرى.

٣ - عين ما هو للتصديق وما هو للتصور مما يأتي:

أ - أقصةً قصيرة كتبتَ أم رواية؟

ب - أمن أجناس الأدب المقالة؟

جـ - أيقطَر النفط في الكويت؟

د - أبعد المغرب تُصلى نافلته أم قبله؟

هـ - أبعد العصر تصلى نافلة؟

و - هل تحب قراءة الشعر؟

٤ - أجب عما يأتي:

أ - افتتحت الأندلس في عهد الوليد بن عبدالملك أم في عهد عمر بن عبدالعزيز؟

ب - هل تحفظ القرآن الكريم؟

ب - أسماء الاستفهام

الأمثلة:

١ - من قادَ المسلمينَ في حِطين؟

٢ - من أصحابُ المعلقات في الشعر العربي؟

....

٣ - ما الكرى؟

٤ - ما الكبرياء؟

....

٥ - متى فُتحت مكة؟

٦ - متى تُقلعُ الطائرة؟

....

٧ - ﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦ ﴾[1].

٨ - ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢ ﴾[2].

....

٩ - كيفَ أحمد؟

١٠ - كيفَ جئتم؟

....

١١ - أينَ الطبيب؟

١٢ - أينَ موضع كاظمة؟

....

---

(١) القيامة (٦).
(٢) النازعات (٤٢).



١٣ - أنّى يتوقعُ المرءُ النجاحَ وهو لا يعملُ له؟

١٤ - ﴿ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾[١].

١٥ - أنى جئت؟

١٦ - أنى تجيء؟

....

١٧ - قال تعالى: ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾[٢].

١٨ - كم طالباً في الفصل؟

....

١٩ - ﴿ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾[٣].

٢٠ - أيَّ كتابٍ قرأت؟

....

البيـــــان:

تأملِ الأمثلةَ السابقةَ كلَّها تجدْ أنّ كلاً منها يدلّ على طلبِ المتكلمِ العلمَ بشيء لا يعلمُه؛ أيْ أنّها جميعاً أساليبُ استفهام حقيقيّ، ولعلّك لاحظتَ تنوعَ الأسماءِ المستخدمةِ لتأديةِ الاستفهام؛ فهي في المثالين: الأول، والثاني (مَن) وقد سُئلَ بها عن عاقل؛ فالسائلُ في المثالِ الأولِ يطلبُ تعيينَ قائدِ المسلمين في حطين، وفي المثالِ الثاني يطلبُ السائلُ تعيينَ الشعراءِ الذين أبدعوا تلك القصائدَ المعروفةِ بالمعلقات؛ فالمسؤولُ عنه في المثالين عاقلٌ. وتعيينُ العاقلِ يحصلُ بالعلمِ[٤] أي بذكرِ اسمِ المسؤولِ عنه كقولنا في إجابةِ السؤالِ الأول: «صلاحُ

---

(١) من الآية (٣٧) من سورة آل عمران. (٢) المؤمنون (١١٢). (٣) من الآية (٧٣) من سورة مريم.

(٤) العَلَم إذا دل على إنسان يكون إسماً أو كنية أو لقباً فإذا سئلت: من صاحب كتاب البيان والتبيين؟ فقولك: الجاحظ، أو: أبو عثمان، أو: عمرو بن بحر، فجميعها جائزة، والأفضل أن تجيب بالأشهر منها أو بها جميعاً فتقول: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، فأبو عثمان كنيته، وعمرو اسمه، والجاحظ لقبه.



الدينِ الأيوبي»، وقولنا في إجابةِ السؤالِ الثاني: «امرؤُ القيسِ بنُ حُجْرٍ، وطَرَفَةُ بنُ العبدِ، وزُهَيْرُ بنُ أبي سُلمى، وعنترةُ بنُ شداد، وعمرو بنُ كُلثوم، والحارثُ بن حِلّزة، ولَبِيدُ بن ربيعة» كما يتحصّلُ بالصفة، أي بذكرِ صفةٍ من صفاتِ المسؤولِ عنه، كقولنا في إجابةِ السؤالِ الأوّل: «ملكُ مصرَ والشامِ من الأيوبيين» وقولُنا في إجابةِ السؤالِ الثاني: «شعراءُ جاهليون».

فاسمُ الاستفهام «مَنْ» يطلبُ به تعيينُ العاقلِ، وتكونُ الإجابةُ بتعيينِ المسؤولِ عنه.

وفي المثالين: الثالث، والرابع يطلبُ السائلُ معنى كلٍّ من: الكرى، والكبرياء؛ فهو يجهلُ معنى كلّ منهما، ويريدُ شرحاً لهما؛ أيْ يريدُ تعرُّفَ المدلولِ اللغويّ لكلّ منهما. وجوابُ السؤالِ الثالثِ: «النوم»، وجوابُ الرابعِ: «العظمةُ والمُلْكُ والتجبُّر».

وقد يُسألُ بما عن ماهيةِ المسمى أي حقيقتُهُ كأنْ يقالَ: ما الإنسانُ؟ فتكونُ الإجابةُ ببيانِ حقيقةِ هذا الشيءِ المسمّى إنساناً، كأنْ يقالُ: إنّه الحيوانُ الناطقُ؛ ومن ذلكَ ما جاءَ على لسانِ فرعونَ سائلاً موسى عليه السلامُ: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]. فاسمُ الاستفهام (ما) يسألُ به عن مدلولِ الاسمِ أو ماهيةِ المسمى، والأصلُ أنّ (ما) يطلبُ بها تعيينُ غيرِ العاقلِ، ولكنّها قد تدخلُ على العاقلِ إذا أُريدَ بها ماهيتُه لأنّ المسؤولَ عنه – وهو ماهيةُ المسمى- شيءٌ غيرُ عاقلٍ.

وفي المثالين: الخامسِ، والسادسِ أرادَ السائلُ تعيينَ الزمانِ؛ فطلبَ في المثالِ الخامسِ تعيينَ الزمنِ الذي تمّ فيه فتحُ مكةَ وإجابتُهُ: «في العامِ الثامنِ من الهجرة»، وفي المثالِ السادسِ يطلبُ تعيينَ الزمنِ الذي سوفَ تقلعُ فيه الطائرة وإجابتُهُ «بعدَ ساعةٍ» مثلاً فاسمُ الاستفهامِ «متى» يسألُ به عن الزمانِ ماضياً كانَ أو مستقبلاً.

وفي المثالين: السابعِ، والثامنِ يطلبُ السائلُ تعيينَ الزمانِ الذي تقعُ فيه القيامةُ. فما الفرقُ بين «أيانَ» و«متى» وكلاهما يُسألُ به عن الزمانِ؟ عُد إلى الأمثلةِ تجد أنّ «متى» سُئلَ بها

---

(١) من الآية (٢٣) من سورة الشعراء.

عن الزمن الماضي مرةً، وعن الزمانِ المستقبلِ مرةً أخرى، أما «أيانَ» فقد خصصتْ للسؤالِ عن الزمانِ المستقبل، وأنّ المسؤولَ عنه بأيان شيء عظيم. فاسمُ الاستفهامِ «أيان» يطلبُ به تعيينُ الزمانِ المستقبلِ خاصة، وتكونُ في مواضعِ التضخيم أي تعظيم المسؤولِ عنه. ولعلكَ لاحظتَ أنّ المخاطبَ لا يستطيعُ تعيينَ وقتِ القيامةِ تحديداً، ولكنّه إذا قالَ: «لا يعلمُ وقتها إلا الله» فقد أجاب.

وفي المثالين: التاسعِ، والعاشرِ يطلبُ السائلُ تعيينَ حالِ أحمد والحالِ التي جاء عليها المخاطبون ليجابَ بمثلِ: «صحيح» أو «سقيم» أو «مسرور» أو نحو ذلك مما يبينُ حالَ أحمد، وبمثلِ «راكبين» أو «مسرعين» أو «متتابعين» أو نحو ذلكَ مما يبينُ الحالَ التي جاء عليها المخاطبون. فاسمُ الاستفهامِ «كيف» يُطلبُ به تعيينُ الحال.

وفي المثالين: الحادي عشر، والثاني عشر يطلبُ السائلُ تعيينَ مكانِ المسؤولِ عنه؛ فهو يريدُ معرفةَ المكانِ الذي يوجدُ فيه الطبيبُ، والمكانِ الذي تقعُ فيه كاظمة. فاسمُ الاستفهام «أين» يطلبُ به تعيينُ المكان.

تأملِ الأمثلةَ من الثالث عشر إلى السادس عشر تجد اسمَ الاستفهامِ في كلّ منها هو «أنّى» ولكنّ المطلوبَ تعيينهُ بها ليسَ واحداً؛ فهي في المثالِ الثالثَ عشر طُلبَ بها تعيينُ الحال، فمعناها في هذا المثال «كيف». ومعناها في المثالِ الرابع عشر «من أين». أما معناها في المثالين: الخامس عشر، والسادس عشر فهو «متى» وقد سئلَ بها فيهما عن الزمانِ الماضي، وعن الزمانِ المستقبلِ كما يسألُ بمتى. فاسمُ الاستفهامِ «أنّى» يأتي لثلاثةِ معانٍ هي: «كيف» و«من أين» و«متى».

والسؤالُ في المثالين: السابع عشر، والثامن عشر أريدَ به تعيين العدد، وأداتُهُ في ذلك «كم».

وأما «أيّ» في المثالين الأخيرين قد طُلبَ بها تعيينُ أحدِ المتشاركين في أمرٍ يعمُّها، فهي

في المثالِ التاسع عشر - وقد وردَ على لسانِ المستهزئين بأصحابِ محمدٍ - صلى اللهُ عليه وسلم- أُريدَ بها تعيينُ أحدِ الفريقين؛ أي أنحنُ أم أصحابُ محمد؟ وفي المثالِ الأخيرِ طُلبَ بها تعيينُ كتابٍ من بين الكتب. وأما معناها فيتجددُ بحسبِ ما تضافُ إليه؛ فتأخذُ حكمَ «مَنْ» إذا أُضيفَتْ إلى عاقلٍ، وتَأخذُ حكمَ «ما» إذا أُضيفَتْ إلى غيرِ عاقلٍ، وتأخذُ حكمَ «متى» إذا أُضيفَتْ إلى زمانٍ، وتأخذُ حكمَ «أين» إذا أُضيفَتْ إلى مكانٍ، وهكذا.

الخلاصة:

أ - للاستفهامِ أدواتٌ أخرى غيرُ الهمزة وهل، وهي:

١ - «مَنْ» ويُطلبُ بها تعيينُ العقلاء.

٢ - «ما»[1] ويطلبُ بها شرحُ الاسمِ أو حقيقةُ المسمى.

٣ - «متى» ويطلبُ بها تعيينُ الزمانِ ماضياً كان أو مستقبلاً.

٤ - «أيّان» ويطلبُ بها تعيينُ الزمانِ المستقبلِ خاصة، وتكونُ في موضعِ التفخيمِ والتهويل.

٥ - «كيف» ويطلبُ بها تعيينُ الحال.

٦ - «أنّى» وتأتي لمعانٍ عِدّة، فتكونُ بمعنى «كيف»، وبمعنى «من أين»، وبمعنى «متى».

٧ - «كم» ويطلبُ بها تعيينُ العدد.

٨ - «أيّ» ويطلبُ بها تعيينُ أحدِ المتشاركين في أمرٍ يعمّهما، ويسألُ بها عن العاقلِ وغيرِ العاقلِ وعن الزمانِ وعن المكانِ وعن الحالِ على حسب ما تضافُ إليه.

ب - الأدوات المتقدمة جميعها أسماء، ويطلبُ بها التصوُّر، ولذلك يكونُ الجوابُ معها بتعيينِ المسؤولِ عنه.

---

(١) إذا سُبقت «ما» بحرف جر حُذفت ألفها وجوباً فتقول: لِمَ، بِمَ، فيمَ... فإذا وقفت عليها ألحقتها هاء السكت عوضاً من الألف المحذوفة فتقول: لِمَهْ، بِمَهْ، فيمَهْ... وقد تركب معها «ذا» فتصير «ماذا»، ويرى فريق من النحاة أن «ذا» في «ماذا» زائدة لا محل لها من الإعراب، ويرى فريق آخر أن «ذا» فيها اسم موصول يعرب خبراً عن «ما» والأيسر أن تعد «ماذا» كلها اسم استفهام.



ثانياً – خروجُ الاستفهامِ عن حقيقتِهِ (الأغراضُ البلاغية للاستفهام)

الأمثلة:

١ – قالَ تعالى: ﴿ **فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ** ﴾[١].

٢ – وقالَ المتنبي:

كيفَ الرجاءُ من الخطوبِ تخلُّصاً ... من بعدِ ما أنشبْنَ فيَّ مخالبا؟

....

٣ – قالَ تعالى: ﴿ **مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا** ﴾[٢].

٤ – وقالَ المتنبي وقد أصابتْه الحمّى:

أبنتَ الدهرِ عندي كلُّ بنتٍ ... فكيفَ وصلتِ أنتِ من الزحامِ؟[٣]

....

٥ – قالَ تعالى: ﴿ **فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ** ﴾[٤].

٦ – وقالَ البارودي:

هل مِنْ طبيبٍ لداءِ الحبِّ أو راقي[٥] ... يشفي عليلاً أخا حزنٍ وإيراقِ؟

٧ – قالَ تعالى على لسانِ فرعون وهو يحاورُ موسى عليه السلام: ﴿ **قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا** ﴾[٦].

---

(١) من الآية (٢٩) من سورة الروم.
(٢) الفرقان (٧).
(٣) بنات الدهر شدائده ومصائبه، ويعني ببنت الدهر الحمّى التي أصيب بها.
(٤) من الآية (٥٣) من سورة الأعراف.
(٥) الراقي: الذي يرقي المريض ... للتصريع.
(٦) من الآية (١٨) من سورة الشعراء.



٨ – وقالَ ابن الرومي:

أَلَـسْـتَ الـمـرءَ يجبي كـلَّ حمدٍ ... إذا مـا لـم يكنْ للحمدِ جابي [1]

....

٩ – قالَ الشاعر:

أضـاعـونـي وأيَّ فـتـى أضـاعـوا ... لـيـومِ كـريـهـةٍ وسـدادِ ثـغـرِ؟

١٠ – وقالَ المتنبي في الرثاء:

مَنْ للمحافلِ والجحافلِ والسُّرَى؟ ... فـقـدْ بـفـقـدكَ نـيِّـرا لا يطلعُ

ومن اتخذتَ على الضيوفِ خليفةً؟ ... ضـاعـوا، ومثلُكَ لا يكادُ يُضيّعُ

....

١١ – قالَ تعالى على لسانِ الحاقدين على رسولِ الله –صلى الله عليه وسلم–: ﴿ **وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا** ۝ ﴾[2].

١٢ – وقال أبو العلاء:

أتـظـنُّ أنـكَ للمعالي كاسبٌ؟ ... وخـبـيءُ أمـرِك شـرَّةٌ وشـنـارُ [3]

....

١٣ – قالَ تعالى على لسانِ أحدِ الرسلِ والمؤمنين معه، وقد استبطؤوا النصرَ: ﴿ **مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ** ﴾[4].

١٤ – وقالَ الشاعر:

طـالَ بـي الـشـوطُ ولـكـنْ مـا التقينا ... فمتى ألـقـاكَ فـي الـدنـيـا؟ وأيـنـا؟ [5]

....

(١) يجبي: يجمع، والجابي: الجامع، وإنما أثبت ياء (جابيا) في البيت للنطق بحرف الروي مكسوراً.
(٢) الفرقان (٤١)، و(إن) في الآية الكريمة للنفي، والمعنى: لا يتخذونك إلا هزواً.
(٣) الشَّرَّة: الشر، والشَّنار: أقبح العيب.
(٤) من الآية (٢١٤) من سورة البقرة.
(٥) الألف هنا للإطلاق.



١٥ - قالَ تعالى: ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝ ﴾[1].

١٦ - وقالَ جريرٌ في رثاءِ ولدِهِ:

قالوا: نصيبُكَ من أجرٍ فقلتُ لهم: كيفَ العزاءُ إذا فارقتُ أشبالي؟

....

١٧ - قالَ تعالى: ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝ ﴾[2].

١٨ - وقالَ الشاعر:

أأتركُ إن قلَّتْ دراهمُ خالدٍ زيارتَهُ؟ إنّي إذن للئيمُ

....

١٩ - قالَ تعالى حكايةً عن إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلامُ: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝ ﴾[3].

٢٠ - وقالَ المتنبي في الدُّمستقِ قائدِ الرومِ وقد تكررتْ إغارتُهُ على المسلمين وفرارُهُ في كلِّ غارةٍ يشنّها عليهم:

أفي كلِّ يومٍ ذا الدُّمستقُ مقدِمٌ قفاه على الإقدامِ للوجهِ لائمُ؟

٢١ - قالَ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ﴾[4].

٢٢ - وقال المتنبي:

ولستُ أُبالي بعدَ إدراكيَ العُلا أكانَ تُراثاً ما تناولتُ أم كَسْبا؟

....

(١) الدخان (١٣ - ١٤).
(٢) الصافات (٩٥ - ٩٦).
(٣) الصافات (٩١ - ٩٢).
(٤) البقرة (٦).



٢٣ - قالَ تعالى عن وسوسةِ إبليس إلى آدم عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ۝ ﴾[1].

٢٤ - وقالَ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ ﴾[2].

البيـــان:

حقيقةُ الاستفهامِ أنّه طلبُ العلمِ بشيءٍ لم يكن معلوماً من قبل، ولكنّه قد يجاوزُ حقيقتَه ليفيد معانيَ أخرى تفهمُ من السياقِ وقرائنِ الأحوال.

انظر في المثالِ الأوّلِ تجده مبدوءاً بمن الاستفهامية التي يُطلبُ بها في الاستفهامِ الحقيقيّ تعيينُ العقلاء، فهل تجد من بينِ العقلاءِ جميعاً مَنْ تعيّنه على أنّه يهدي مَن أضلّ الله؟ إنّك إنْ أردتَ أنْ تصدّقَ السائلَ في إجابتِك فلن تجد سوى قولك: لا أحدَ يهدي من أضلَّ الله.

فاسمُ الاستفهامِ هنا إنّما جاء ليؤدّي معنى النفي.

وظاهرُ المثالِ الثاني أنّ الشاعرَ يطلبُ تعيينَ الحالِ التي يرجى بها تخلُّصُه من الخطوبِ وقد أنشبَت فيه مخالبَها، ولكنّ الخبرَ الذي ساقه بعدَ الطلبِ يؤكّدُ استحالةَ تخلصِه من الخطوبِ فقد تمكّنت منه تمكّنَ الوحشِ من فريستِه، فالشاعرُ إذن ينفي الأملَ في تخلّصِه من الخطوب.

فغرضُ الاستفهامِ في المثالين: الأولِ، والثاني هو النفي.

تأمل المثالَ الثالثَ تجد قولَ اللهِ تعالى قد جاءَ على لسانِ الكافرين الذين أرادوا أن يكونَ النذير المرسل إليهم ملكاً لا بشراً مثلَهم يحيا حياةَ الناس، فتعجّبوا من كونِه يأكلُ الطعامَ ويمشي في الأسواق، فهم لا يسألون عن سببِ أكلِه الطعامَ ومشيِه في الأسواق بل يعجبون من كونِه يدّعي الرسالةَ وهو بشرٌ مثلهم.

---

(١) من الآية (١٢٠) من سورة طه.
(٢) الصف (١٠).

وفي المثالِ الرابعِ لا يريدُ الشاعرُ تعيينَ الحالِ التي أوصلت الحمى إليه، ولكنّه يتعجّب من نجاحِها في الوصولِ إليه وقد أحاطت به كلُّ الشدائدِ بما لا يدعُ ثغرةً لوصولِ شدةٍ أخرى. فغرضُ الاستفهامِ في المثالين: الثالثِ، والرابعِ هو التعجب.

أما المثالُ الخامسُ فقد جاءَ على لسانِ المكذّبين بالبعثِ الذين اتخذوا دينَهم لهواً ولعباً وغرّتهم الحياةُ الدنيا، ولم يستجيبوا لما نزّلَ إليهم من الهدى، فلما بُعثوا، وأيقنوا أنّهم خسروا أنفسَهم تمنّوا أنْ يجدوا مَن يشفعُ لهم، ولكنْ هيهات، فلم يقدموا لأنفسِهم، وطلبُهم شفيعاً يشفعُ لهم أمرٌ صعبُ المنالِ، فليس الاستفهامُ في قولهم: ﴿ **فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ** ﴾[1]. إلا تمنياً.

والبارودي في المثالِ السادسِ يعلمُ أنّ طلبَه صعبُ المنال، فالداءُ الذي ألمّ به من أدواءِ النفسِ التي يصعبُ البُرءُ منها، وقد اجتمعت عليه العلةُ والحزنُ والأرقُ؛ فهو بسؤالِه عن طبيبٍ أو راقٍ إنما يتمنى أنْ يجدَ مَن يشفيه. فالاستفهامُ في المثالين: الخامسِ، والسادسِ غرضُهُ التمني.

اقرأ قولَ اللهِ تعالى من قولِ فرعونَ لموسى: ﴿ **أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا** ﴾[2]، وتذكّرْ أنّ موسى قد رُبّي في قصرِ فرعون، ثم حاولْ تعرّفَ الغرضَ من سؤالِ فرعون. ألا يريدُ أن يُقِرَّ موسى عليه السلامُ بتلك الحقيقة؟ بلى إن غرضَه هو الإقرار[3].

وابنُ الرومي في المثالِ الثامنِ يصلُ إلى مدحِ المخاطَبِ بكونِهِ أكثرَ الناسِ جبايةً للمحامدِ عن طريقِ إقرارِه بذلك. فالغرضُ البلاغيّ للاستفهامِ في المثالين: السابعِ والثامنِ هو التقرير.

والشاعرُ في المثالِ التاسعِ لا يطلبُ معرفةَ الفتى الذي أضاعَه قومُه فهو يتحدثُ عن نفسِه، ودلّ على ذلك قولُه: «أضاعوني» في مطلعِ البيت، وهو لا يسأل... عن صفاتِ ذلك الفتى فهو فارسُ قومِهِ الذي يحتاجون إليه لسدادِ الثغورِ يومَ الكريهة، وما استفهامُه إلا لتعظيمِ شأنه.

---

(١) الأعراف (٥٣).

(٢) الشعراء (١٨).

(٣) الإقرار مصدر أقرّ، وقد يسمى تقريراً، والتقرير مصدر قرّر، ومن معانيه الحمل على الاعتراف، فتكون قرّر بمعنى أقرّ. والتقرير في اصطلاح البلاغيين هو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه إثباتاً أو نفياً.



والمتنبي في رثائه لا يسألُ عمّن يسدُّ مسدَّ الفقيدِ في تصدرِ المحافلِ وقيادةِ الجيوشِ وتحملِ أعباءِ السُّرى، فقد فقدت المحافلُ والسرى مَن لا يُعوّض. والشاعرُ لا يسألُ عمّن يخلفُ الفقيدَ في قِرى الضيوف، فقد أخبرَ أنّهم ضاعوا بفقدِه، وما كانَ لهم أن يُضيّعوا وهو على قيدِ الحياة. وبذلك يكونُ الشاعرُ قد رفعَ مكانةَ الفقيدِ على ما سواها تعظيماً لشأنه. فالغرضُ من الاستفهامِ في المثالين: التاسعِ، والعاشرِ هو التعظيم.

أما قولُ المستهزئين برسولِ الله -صلى اللهُ عليه وسلم-: ﴿ **أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا** ۝ ﴾[1]، فقد دلّ على غرضِهم منه قولُ اللهِ تعالى قبله: ﴿ **وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا** ﴾[2]، فهم إنما أرادوا تصغيرَ شأنه -صلى اللهُ عليه وسلم- إذ إنّه لم يكن من أصحابِ الجِنانِ أو القصور.

وأبو العلاء في المثالِ الثاني عشر يُحقِّرُ المخاطَبَ بسؤالِه عن ظنّه كسبَ المعالي لأنّ ما يخفي من أمرِه شرّ وعيب. فالغرضُ من الاستفهامِ في المثالين: الحادي عشر، والثاني عشر هو التحقير.

انظر في المثالِ الثالث عشر تجد أنّ قولَ اللهِ تعالى: ﴿ **مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ** ﴾[3] قد جاء على لسانِ أحدِ رسلِه والذين آمنوا معه، وهم على ثقةٍ من تأييدِ اللهِ لهم وأنّ نصرَه آتٍ لا محالة، ولكنّهم قد مسّتهم البأساءُ والضراءُ وزلزلوا حتى استبطؤوا النصرَ من فرطِ حاجتِهم إليه، فرأوه على قربِه بطيئاً.

والشاعرُ في المثالِ الرابع عشر لا يسألُ عن زمانِ اللقاء ولا مكانِه، ولكنّه يعدُ أنْ طالَ سعيُه إلى لقاءِ المخاطَبِ ولم يظفرْ به رأى وقوعَه بطيئاً. فالاستفهامُ في المثالين: الثالث عشر، والرابع عشر غرضُه الاستبطاء.

والاستفهامُ في الآيةِ الكريمة ﴿ **أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ** ﴾[4] لا يرادُ به تعرّفَ سبلِ الذكرى، فليسَ المقصودُ به (كيف تأتيهم؟) ولا (من أين تأتيهم؟) ولا (متى تأتيهم؟)، فلماذا فارقت «أنّى»

---

(١) الفرقان (٤١).
(٢) الفرقان (٤١).
(٣) البقرة (٢١٤).
(٤) الدخان (١٣).



كلِّ معانيها التي لها عندَ إرادةِ الاستفهامِ الحقيقي؟ إنَّ قولَ اللهِ تعالى: ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝﴾[1]، لأوضح دليلٍ على استبعادِ تذكرهم؛ فالرسول مبين، ولكنهم انصرفوا عنه، ووصفوه بما لا يليقُ بالرسلِ إمعاناً في إعراضِهم فأنَّى لهم الذِّكرى؟ إنَّها تعدُّ بعيدة عنهم.

وجريرٌ في المثالِ السادسَ عشر لا يطلبُ معرفةَ الحالِ التي يُعزَّى بها عن فقدِ ولدِه، ولكنه يعدُّ العزاءَ لمن فقدَ أبناءه أمراً بعيداً أي يستبعد العزاء. فالاستفهامُ في المثالين: الخامس عشر، والسادس عشر غرضُه الاستبعاد.

أما حالُ المخاطبين بسؤالِ إبراهيم عليه الصلاةُ والسلامُ في المثالِ السابعَ عشر فحالٌ تدعو إلى الإنكار، إذ يُنكَر على المرءِ أن يعبدَ إلهاً نحته بيديه، فهل يعقلُ أنْ يخلقَ العابدُ معبودَه؟ إنَّ الأولى به أنْ يعبدَ الذي خلقه وما يعبدُ ما نحتَه فإبراهيمُ عليه السلامُ لا يطلبُ بسؤالِه نفياً ولا إثباتاً، ولكنَّه ينكرُ على المخاطبين ما يفعلون.

والشاعرُ في المثالِ الثامنَ عشر ينكرُ على نفسِه أن يتركَ زيارةَ خالدٍ إذا قلَّت دراهمُه، لأنه إنْ فعلَ ذلكَ يكونُ نعيماً. فغرضُ الاستفهامِ في المثالين: السابع عشر، والثامن عشر هو الإنكار.

انظر في المثالِ التاسعَ عشر، وسلْ نفسَك: هل ينظرُ إبراهيمُ عليه السلامُ جواباً من الأصنام، وقد علمَ أنَّهم لا ينطقون؟ لا. إنَّه يسخرُ من تلك الآلهةِ المزعومةِ التي عجزَتْ عن الكلام. فهو لا يسألُ بل يتهكم.

ولَوْمُ قفا الدُّمُسْتُقِ وجهَه على إقدامِهِ المتكررِ رغمَ ما يلحقهُ من عارِ الهزيمةِ ليسَ إلا تهكماً وسخريةً من هذا القائدِ الذي ما أقدم يصحبُه الحقدُ إلا فرَّ يصحبُه العار.

فالاستفهامُ في المثالين: التاسع عشر، والعشرين غرضُه التهكم.

---

(1) الدخان (١٣ – ١٤).



اقرأ قولَ اللهِ تعالى في المثالِ الحادي والعشرين تجد أن إنذارَ الكافرين وعدمَ إنذارِهم يستويان، فهم لا يؤمنون. فالهمزةُ في الآيةِ الكريمة ما جاءت لتصورٍ ولا لتصديقٍ بل جاءت للتسويةِ بين ما بعدَها وما بعدَ (أم)، أي الإنذارُ وعدمُه.

والشاعرُ في المثالِ الثاني والعشرين لا يهتمّ بتعرفِ أسبابِ رفعتِهِ لأنّه أدركَ العلا فسواءٌ عليه أكانَ إدراكُهُ العلا تراثاً أم كسباً، فالوسيلتان تستويان عندَه، فهو لا يهتمّ بالوسيلة، وإنما جُلُّ اهتمامِهِ بالغايةِ وقد بلغَها. فغرضُ الاستفهامِ في المثالين: الحادي والعشرين والثاني والعشرين التسوية.

أما المثالان الأخيران: الثالث والعشرون، والرابع والعشرون فالمسؤولُ عنه فيهما يسوقُ المخاطبَ إلى تعرفِه؛ فالشجرةُ التي نهى اللهُ آدمَ وزوجَهُ عن قربِها كانت معروفةً لهما بدليلِ الإشارةِ إليها عندَ النهي ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾[1] فكانَ آدم وزوجه لا يقربان تلكَ الشجرةِ امتثالاً لنهي اللهِ لهما عن قربِها، ولكن إبليسَ أرادَ أن يرغّبهما فيها بأنْ جعلَها شجرةَ الخلدِ وملكاً لا يبلى فلم يكن استفهامُه إلّا تشويقاً لهما.

وما قولُ اللهِ تعالى للمؤمنين: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2] إلا تشويقٌ للمؤمنين إلى تعرّفِ تلكَ التجارةِ الرابحة، ومَن لا يشتاقُ إلى تعرفِ ما ينجيه من العذابِ الأليم؟ فالاستفهامُ في المثالين: الثالث والعشرين، والرابع والعشرين غرضُهُ التشويق، وإن كان في الأولِ فيهما تشويقاً لما فيه الهلاكُ لأنّه من عدوٍّ مبين، وفي الثاني منهما تشويقاً لما فيه الفلاحُ لأنّه مِن ربٍّ رحيم.

---

(١) البقرة/٣٥.
(٢) الصف/١٠.

الخلاصة:

قد تخرجُ ألفاظُ الاستفهامِ عن معانيها الأصليةِ لمعانٍ أخرى تستفادُ من سياقِ الكلامِ كالنفي، والتعجب والتمني، والتقرير، والتعظيم، والتحقير، والاستبطاء، والاستبعاد، والإنكار، والتهكم، والتسوية، والتشويق وغيرِها من المعاني والدلالاتِ التي تفهمُ من القرائن[1].

---

(١) من ذلك: التوبيخ، نحو قول الشاعر وقد تمادى قومه في الشقاق والنفاق:

إلامَ الخلف بينكم إلامَ؟ وهذي الضجة الكبرى علامَ؟

والوعيد نحو قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ (الفجر، ٦)، والأمر نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر، ١٧)، والتفجع نحو قوله تعالى: ﴿ مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ (الكهف، ٤٩)، والإخبار نحو قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ (الإنسان، ١)، أي: قد أتى.

١ – لماذا كانت الأغراضُ البلاغيةُ لأساليبِ الاستفهامِ الآتيةِ هي: النفي، والتعجب، والتقرير على التوالي:

أ – قالَ تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝﴾[1].

ب – قالَ المتنبي لبدرِ بن عمّار وقد صرعَ أسداً:

أَمُعَفِّرَ اللَّيثِ الهِزَبرِ بِسَوطِهِ   لِمَنِ ادَّخَرتَ الصَّارِمَ المَسْلولا؟

جـ – قالَ تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝﴾[2].

....

٢ – عيِّن الغرضَ البلاغي لكلِّ استفهامٍ مما يأتي:

أ – قالَ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾[3].

ب – وقالَ تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ۝﴾[4].

جـ – قالَ الأميرُ عبدُاللهِ الفيصل:

أينَ مِن عصرِنا السلامةُ والأمـ   ـنُ وقد باتَ مصدرَ الأتراحِ؟

د – وقالَ المتنبي:

مَن لي بإنسانٍ إذا أغضبتُه   وجهلتُ كانَ الحلمُ ردَّ جوابِهِ؟

هـ – قالَ الشاعر:

فدعِ الوعيدَ فما وعيدُك ضائري   أطنينُ أجنحةِ الذبابِ يضيرُ؟

---

(١) الرحمن (٦٠).
(٢) الشرح (١).
(٣) الأنعام (٧٤).
(٤) الزمر (١٩).

و – وقالَ المتنبي لسيفِ الدولةِ وقد أصابته عِلَّة:

وكيفَ تُعِلُّكَ الدنيا بشيءٍ وأنتَ لعلةِ الدنيا طبيبُ؟

وكيفَ تنوبُكَ الشكوى بداءٍ وأنتَ المستغاثُ لما ينوبُ؟

....

٣ – لماذا لا يعدُّ ما بعدُ الهمزةِ في كلّ مما يأتي مسؤولاً عنه؟

أ – قالَ تعالى: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴾[1].

ب – وقالَ تعالى: ﴿ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾[2].

---

(١) الشعراء (١٣٦).

(٢) الأنبياء (١٠٩).

أسلوب النداء

أولاً – معنى النداء وأحرفُه:

الأمثلة:

١ – أربَّ الكونِ: ما أعظمَ قدرتك، وأجلَّ شأنك!

٢ – قالَ أبٌ ينصحُ ولدَه:

أبـنـيَّ: إنّ أبــاكَ كــاربُ[1] يـومِـهِ ... فـإذا دُعِـيـتَ إلـى الـمـكـارمِ فاعـجـلِ

٣ – وقالَ أبٌ آخر لولده حسين:

أحـسـينُ إنـي واعـظٌ ومـؤدبٌ[2] ... فـافـهـم فـإنـه الـعـاقـلَ الـمـتـأدبُ

٤ – وقالتْ أميمةُ بنتُ الحارثِ لابنتِها وقد همَّت بوصيتِها:

«أيْ بنيَّةُ: إنّ الوصيةَ لو تُركت لفضلِ أدبٍ تُرِكتْ لذلكَ منكِ».

٥ – وقالَ هاشمُ بن عبدِ منافٍ وهو يخطبُ قريشاً:

«يا معشرَ قريش، أنتم سادةُ العربِ: أحسنُها وجوهاً، وأعظمُها أحلاماً، وأوسطُها أنساباً[3]، وأقربُها أرحاماً...».

٦ – وقالَ الشاعر:

أيـا جـامـعَ الـدنـيـا لـغـيـرِ بـلاغـةٍ ... لـمـن تجمعُ الدنيا وأنـتَ تـمـوتُ؟

٧ – وقالَ الشاعرُ في الرِّثاءِ:

وا محسناً[4] مَـلَـكَ الـنـفـوسَ بـبـرِّه ... وجـرى إلـى الـخـيـراتِ سبّاقَ الخُطا

---

(١) كاربٌ يومِه: مقاربٌ يومَ وفاته، وكاربٌ اسمُ فاعلٍ من (كَرَبَ) أي قرُب.

(٢) مؤدبٌ كلمةٌ مصروفةٌ، ولكنها لم تنوّن هنا للتصريع، وهو من ضرائر الشعر.

(٣) أوسطُها أنساباً: أي أشرفها نسباً، وهذا التعبيرُ مأخوذٌ من واسطة العقد التي تكونُ أكبرَ حباته، وأوضحها للناظر.

(٤) النكرةُ هنا مقصودةٌ، ولكنها نصبت لأنها موصوفة.



٨ - وقالَ المتنبي لسيفِ الدولة، وقد استشعرَ صدودَ الأمير:

واحـرَّ قـلـبـاهُ ممَّـن قـلـبُه شَـبِـمُ[1] ومـن بـجـسمي وحـالـي عـنـدَه سقَمُ

٩ - وقال الشاعر:

إنـمـا الأرضُ والـسـمـاءُ كـتـابٌ فـاقـرؤوه مـعـاشـرَ الأذكـيـاءِ

١٠ - قالَ تعالى على لسانِ إبراهيمَ عليهِ السلامُ: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝٤٠ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ۝٤١ ﴾[2].

البيـــان:

تدبرِ الأمثلةَ السابقةَ تجدِ المتكلمَ فيها ينادي المخاطبَ طالباً استماعه لما يخبرُه به أو يطلبُه منه، وتجدِ المتكلمَ لمْ يدعُ المخاطبَ بقولِه «أنادي» أو «أدعو» أو نحوِهما، ولكنّه استخدمَ حرفاً ينوبُ عن ذلك. وهذا الحرفُ كانَ الهمزةُ في الأمثلةِ الثلاثةِ الأولى، و«أيْ» في المثالِ الرابع، و«يا» في المثالِ الخامسِ، و«أيا» في المثالِ السادسِ، و«وا» في المثالين السابع، والثامنِ. أما المثالان: التاسعَ، والعاشرَ فقدْ حذفَ منهما حرفُ النداء.

عدْ إلى الأمثلةِ، وانظر في قربِ المخاطبِ أو بعدِه من المتكلم سواء أكانَ القربُ أو البعدُ حسّياً أم معنوياً - تجدِ المتكلمَ في المثالِ الأولِ يخاطبُ ربَّ العالمين الذي هو أقربُ إليهِ من حبلِ الوريد، وتجدِ الشاعرين في المثالين: الثاني، والثالث يخاطبُ كلٌّ منهما ولدَه القريبَ من قلبِه، الحاضرَ في خاطرِه، وإذا كانَ خطابُ الأبوين شفوياً - وهو نصحٌ لا يناسبُه الصياحُ - فقد اجتمعَ القربُ المعنوي والقربُ الحسيّ كلاهما. ومثلُ ذلك يقالُ في حديث الأم لابنتِها في المثالِ الرابع.

---

(١) شبم: باردٌ.
(٢) إبراهيم (٤٠ - ٤١).



أما خطابُ هاشم بن عبدمناف فموجّهٌ إلى جمعٍ غفيرٍ من الناسِ، والقاصي منهم بعيدٌ عن المتكلمِ مما يجعلِ المتكلمَ محتاجاً إلى مدّ الصوتِ بالنداء، ولذا تراه ينادي مستخدماً «يا»[1].

وفي المثال السادس نرى الشاعر قد استخدم حرفاً ممدوداً لما يراه من غفلة المخاطب عن حقيقة الدنيا التي يتكالب على جمعها غافلاً عن حقيقة ما تؤول إليه، فأنزله المتكلم منزلة البعيد.

وفي المثال السابع نرى الشاعر ينادي الفقيد لا ليُسمعه بل ليتطلع على فقده. والمتنبي في المثال الثامن ينادي سيف الدولة ليبدي تخوفه من صدوده عنه رغم حبه له.

أما المثال التاسع فقد حذف منه حرف النداء [2] لوضوح الدلالة عليه.

وأما المثالُ العاشرُ فقد حذف منه حرفُ النداءِ لشدةِ قربِ المخاطب.

---

(1) وكذلك كلّ نداء للبعيد، فالأحرفُ التي يُنادى بها البعيدُ جميعُها ممدودة وهي: الهمزةُ الممدودةُ (آ) و(أي) بمد الهمزة وسكون الياء، و(أيا) و(هيا) و(يا) و(وا)، ولكنّ (وا) لا تستخدمُ إلا لنداء المندوب وهو المتفجّع عليه أو المتوجّع منه.

(2) إذا كان حرف النداء محذوفاً فإنه لا يقدّر بأيٍّ من أحرف النداء سوى (يا).

الخلاصة:

١ - النداءُ طلبُ الإقبالِ بحرفٍ نائبٍ منابَ أدعو والإقبالُ قد يكونُ حقيقياً، وقد يكون مجازياً كما في نحوِ «يا ألله».

٢ - أحرفُ النداءِ ثمانيةٌ هي: الهمزةُ، و«أيْ»، و«آ»، و«آيْ»، و«أيا»، و«هيا»، و«يا»، و«وا».

٣ - الهمزةُ و(أيْ) غيرُ الممدودتين لنداءِ القريبِ[1]، وما سواهما لنداءِ البعيد.

٤ - تختصّ «وا» بنداءِ المندوبِ - وهو المتفجَّعُ عليه، أو المتوجَّعُ منه - وقد تنوبُ عنها «يا» بشرطِ وضوحِ معنى الندبةِ في السّياق، وعدم وقوع لبسٍ فيه؛ كقول اللهِ تعالى على لسانِ العاصي يومَ القيامةِ: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[2].

٥ - يصحّ حذفُ حرفِ النداءِ «يا» دونَ غيرِه حذفاً لفظياً فقط مع مراعاةِ تقديرِه؛ وذلك إما لوضوحِ الدلالةِ عليه، أو للدلالةِ على شدّةِ قربِ المخاطَبِ.

---

(١) يرى فريق من العلماء، ومنهم ابنُ مالك صاحبُ الألفية أنّ القريبَ لا ينادى إلا بالهمزة، وفي ذلك يقولُ ابنُ مالك:

وللمنادى النّاءِ أو كالنّاءِ «يا» ... و«أيْ» و«آ» كذا «أيا» ثم «هيا»

والهمزُ للداني - و«وا» لمن نُدِبْ ... أو «يا» وغير «وا» لدى اللبس اجْتُنِبْ

(٢) من الآية (٥٦) من سورة الزمر، و(يا حسرتا) أصلها (يا حسرتي)، وقلبت ياء المتكلم ألفاً في الندبة. راجع باب الندبة في كتب النحو.



ثانياً – الأغراضُ البلاغيةُ للنّداء

الأمثلة:

١ – قالَ البوصيري في مدحِ رسولِ الله –صلّى اللهُ عليه وسلّم–:

كيفَ ترقى رُقيَّك الأنبياءُ! يا سماءً ما طاوَلَتها سماءُ

٢ – وقالَ عبدُالعزيزِ المقالح في أبطالِ العبور:

يا عابرَ البحرِ ما أبقى العبورُ لنا وما عسى تنفعُ الأشعارُ والصورُ؟

....

٣ – قالَ تعالى يحكي قولَ فرعون لموسى عليه السّلام: ﴿ **إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا** ﴾[1].

٤ – وقالَ الشاعرُ:

أيا هذا أتطمعُ في المعالي وما يَحظى بها إلا الرجالُ؟

....

٥ – وقالَ أبو العتاهية:

أيا مَن عاشَ في الدنيا طويلاً وأفنى العمرَ في قيلٍ وقالِ

وأتعبَ نفسَه فيما سيفْنَى وجمّعَ مِن حرامٍ أو حلالِ

هبِ الدنيا تقادُ إليك عفواً أليسَ مصيرُ ذلكَ للزوالِ؟

٦ – وقالَ آخرُ:

أيا جامعَ الدنيا لغيرِ بلاغةٍ لمن تجمعُ الدنيا وأنتَ تموتُ؟

....

(١) من الآية (١٠١) من سورة الإسراء.

٧ - من وصيةِ مربٍّ لأبنائه: «أيا متوانياً وأنتَ سليلُ العربِ الأبطال، لا تنسَ مجدَهم على الأيام».

٨ - وقالَ شاعرٌ معاصر:

يا شبابَ البلادِ أحييتُموها ... وأبيتُم على المدى أن تَهونا

كلَّ يومٍ لكم مواقفُ صدقٍ ... تملأُ الأرضَ روعةً وفنونا

أرسلوها في قوةٍ وإباءٍ ... صيحةً تُرهبُ الألدَّ الخؤونا

علِّموه كيفَ احترامُ الأماني ... أشعِروه بأننا لن ندينا

....

٩ - وقالَ المتنبي يخاطبُ الحمّى التي أصابتْه:

أبنتَ الدهرِ عندي كلُّ بنتٍ ... فكيفَ وصلتِ أنتِ من الزحامِ!

جرحتِ مجرَّحاً لم يبقَ فيهِ ... مكانٌ للسيوفِ ولا السهامِ

١٠ - وقالَ أبو القاسمِ الشابي يخاطبُ المستعمر:

ألا أيُّها الظالمُ المستبدُّ ... حبيبَ الفناءِ عدوَّ الحياة

سخِرتَ بأناتِ شعبٍ ضعيفٍ ... وكفُّكَ مخضوبةٌ من دماه

١١ - وقالَ شاعرٌ في رثاءِ عمرَ بنِ عبدالعزيز:

حُمِّلتَ أمراً عظيماً فاصطبرتَ له ... وقمتَ فيه بأمرِ اللهِ يا عُمَرَا [1]

١٢ - وقالت عربيةٌ ثكلى:

دعوتُكَ يا بنيَّ فلم تُجبني ... فردَّتْ دعوتي يأساً عليّا

....

١٣ - وقال إيليا أبو ماضي:

يا أخي لا تمِلْ بوجهكَ عنّي ... ما أنا فحمةٌ ولا أنتَ فرقدْ [1]

(١) الألفُ هنا زائدةٌ للندبة، والمندوبُ مبنيٌّ على الضمِّ المقدّر مع جوازِ بنائهِ على الفتحِ في هذه الحالة. ويجوزُ إبقاءُ المندوبِ على أصله في النداءِ بغير ألف، فيقال: (يا عمرُ) بالبناءِ على الضمِّ الظاهر.



١٤ - وقالَ شاعرٌ معاصر:

إلامَ يا قلبُ تستبقي مودّتَهم	وقد أذاقوكَ ألواناً من الوَصَبِ
تظلّ تسعى مدى الأيامِ تطلبُهم	والعمرُ يذهبُ بين السعي والطلبِ
يا قلبُ حسبُك ما قد ذقتَ من حَزَنٍ	يا قلبُ حسبُك ما قد نلتَ من تعبِ

....

البيـــان:

تدبرِ الأمثلةَ السابقةَ تجدِ البوصيري في المثالِ الأولِ يخاطبُ رسولَ اللهِ -صلى اللهُ عليهِ وسلم- وقدرَه سماءٌ لا تطاولُ، فلا يبلغُ أيٌّ من الأنبياءِ منزلتَه. وعاطفةُ الشاعرِ التي تستشعرُها من تعبيرِه تؤكدُ القربَ المعنويَّ لرسولِ اللهِ -صلى اللهُ عليهِ وسلم- فهو حاضرٌ في قلبِ الشاعرِ ووجدانِه ولكنه حضورَه في قلبِ الشاعرِ محاطٌ بالعظمةِ والجلالِ وعلوِ المكانةِ، فجاءَ نداؤه بالحرفِ «يا» ليناسبَ رفعتَه، ويدلَّ على تعظيمه.

والشاعرُ اليمنيّ «عبدُالعزيزِ المقالح» لا ينادي بالحرفِ «يا» لبعدِ المكانِ بينَه وبينَ أبطالِ العبورِ بل لبعدِ المكانةِ التي ترلوها في قلبِه تعظيماً لهم. فالنداءُ في المثالين: الأول، والثاني للتعظيم.

انظر في المثالِ الثالثِ تجد أنّ فرعونَ يؤكدُ أنّ «موسى» عليه السلامُ مسحورٌ لما يراهُ فرعون من بعدِ المكانةِ بينهما، فكيفَ - في رأي فرعون - يتجرأ واحدٌ من المستضعفين في الأرضِ على ملكٍ طاغٍ يرى نفسَه إلهاً يجبُ أن يعبد؟ إنّ نداءَ فرعون «يا موسى» ليسَ إلا تحقيراً للمنادى، فقد أنزلَ فرعونُ موسى منزلةَ البعيدِ لما يعتقدُ من بعدِ المكانةِ بينهما تحقيراً له وتقليلاً من شأنه.

والشاعرُ الذي ينادي الطامعَ في المعالي في المثالِ الرابعِ لا يرى المنادى أهلاً لما يطمعُ فيه بدليلِ ما أخبرَ به في الشطرِ الثاني من كونِ المعالي من حظِّ الرجالِ وحدَهم، وكأنّه لا يرى ذلك

(١١) الفرقد: النجم القطبي، وهما فرقدان.

الطامعَ فيها رجلاً، وما ذاكَ إلا تحقيرٌ للمخاطَب. فالنداءُ في المثالين: الثالثِ، والرابعِ للتحقيرِ.

وأبو العتاهيةِ في المثالِ الخامسِ يخاطبُ مَنْ أفنى عمرَه متكالباً على جمعِ المالِ غافلاً عن حقيقةِ تلكَ الدنيا التي جعلَها أكبرَ همّه مما جعلَ الشاعرَ يحمله على الإقرارِ بزوالِها «أليس مصيرُ ذلكَ للزوالِ؟» وإذا نرى الشاعرَ قد ناداه بالحرفِ «أيا» الذي هو لنداءِ البعيدِ تنبيهاً للمخاطبِ ليفيقَ من غفلتِه.

والشاعرُ في المثالِ السادسِ يرى المخاطبَ غافلاً عن حقيقةِ الموتِ الذي هو ملاقيهِ طالَ الأجلُ أو قصر، فناداه بالحرفِ «أيا» لينبهَه على غفلتِه. فالنداءُ في المثالين: الخامسِ والسادسِ للتنبيه.

نلاحظُ من ستةِ الأمثلةِ السابقةِ أنّ بعدَ المنادى كان معنوياً؛ فإمّا أن يكونَ المنادى رفيعَ الشأنِ عظيمَ القدرِ، فيكونُ نداؤه للتعظيمِ، وإمّا أن يكونَ وضيعَ الشأنِ ضئيلَ القدرِ في عينِ المتكلمِ، فيكونُ نداؤه للتحقيرِ، وإمّا أن يكونَ غافلاً أو شاردَ الذهنِ، فيكونُ نداؤه للتنبيهِ على غفلتِه.

أمّا المثالانِ: السابعُ والثامنُ فإنّه المتكلمَ فيهما يغري شبابَ العربِ بتذكرِ مجدِ آبائهم والعملِ على إحيائِه ليكونوا خيرَ خلفٍ لخيرِ سلفٍ – كما يُفهمُ من المثالِ السابعِ – ويغريهم بالتصدّي لأعداءِ أمتِهم بعدَ أن ملأَهم ثقةً بأنفسِهم بما قرر من عظمةِ مواقفِهم وتجددِها وشمولِها. فالنداءُ في المثالين: السابعِ، والثامنِ للإغراءِ.

والمتنبي في المثالِ التاسعِ يعلنُ عن ضجرِه وضيقِه بما أصابَه من الحمّى فلديه من الشدائدِ ما يكفيه. وقد جاءَ إعلانُه عن الضجرِ مصحوباً بإظهارِ الألمِ. وأبو القاسمِ في المثالِ العاشرِ يعلنُ عن ضيقِه بجنايةِ المستعمرِ على شعبِه، ولكن ضجرَه جاءَ مصحوباً بذمِّ ذلكَ المستعمرِ.

فالنداءُ في المثالين: التاسعِ، والعاشرِ لإعلانِ الضيقِ والضجرِ وإن جاءَ مصحوباً بإظهارِ الألمِ في قولِ المتنبي وبالذمِّ في قولِ أبي القاسمِ.

أنظر بعدَ ذلك في المثالِ الحادي عشر تجد الشاعرَ يتحدثُ إلى أمير المؤمنين بعد موته، وقد أسندَ إليه الاصطبارَ على حملِ أمانةِ الحكمِ الثقيلةِ بما يرضي الله، فغيابُ مثلِهِ يشعرُ الرعيةَ بالحسرةِ على فقدِهِ، ولذا فالنداءُ في قولِ الشاعرِ للتحسّر.

والأمّ التي تدعو ولدَها الفقيدَ لا تجابُ إلا باليأسِ من ردّه، فتصيبها الحسرةُ عليه.

فما نداؤُها «يا بنيّ» إلا للتحسر.

فالنداءُ في المثالين: الحادي عشر، والثاني عشر للتحسر.

أما أبو ماضي في المثالِ الثالثِ عشر فيعتبُ على المخاطبِ إعراضَه عنه واستعلاءَه عليه فلا فرق بينهما في طبيعةِ التكوينِ أو الشعور، فكلّ منهما إنسان. وما نداؤه إلا زجرٌ له ليرتدعَ عن صلفِهِ وغروره.

والشاعرُ في المثالِ الرابعِ عشر يزجُر قلبَه الذي يحرصُ على مودةِ من أذاقوه التعبَ ألواناً، ولا ينفكّ يسعى في طلبهم منفقاً عمرَه في السعي والطلب. ثم يعودُ الشاعرُ لنداءِ قلبِهِ ليخبرَه بأنّ ما نالَ من التعبِ وما ذاقَ من الحزنِ يكفيه، فليرتدع عن طلبِ مَن لا يكفّ عن أذاه. فالنداءُ في المثالين: الثالث عشر، والرابع عشر للزجر.

....

الخلاصة:

١ - قد يُنزّلُ البعيدُ منزلةَ القريبِ فينادى بالهمزةِ و «أيْ» إشارةً إلى قربِهِ من القلبِ وحضورِهِ في الذهن. وقد يُنزّلُ القريبُ منزلةَ البعيدِ فينادى بغيرِ الهمزةِ و«أيْ» إشارةً إلى علوّ مرتبتِهِ، أو انحطاطِ منزلتِه، أو غفلتِهِ وشرودِ ذهنه.

٢ - قد يخرجُ النداءُ عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى تستفادُ من القرائنِ كالإغراءِ، وإعلانِ الضجر، والتحسّر، والزّجر.

١ - قالَ طالبُ حاجةٍ لصديقِهِ:

أيْ صديقي: إنّي قصدتُك لمّا ... لم أجدْ في الحياةِ غيرَكَ شهما

بيّنْ سببَ النداءِ بأيْ في البيتِ السابقِ في كلٍّ من الحالتينِ الآتيين:

أ - إذا همسَ الشاعرُ بالبيتِ السابقِ لصديقِهِ في مجلسه.

ب - إذا أرسلَ الشاعرُ هذا البيت إلى صديقِهِ في رسالة.

٢ - علّلِ استخدامَ «يا» لنداءِ القريبِ على خلافِ الأصلِ في قولِ الشاعر:

يا مَنْ يُرَجّى للشدائدِ كلِّها ... يا مَنْ إليه المُشتكى والمفزعُ

٣ - يا صادحاً يشدو على فنن ... رحماكَ قد هيّجتَ لي شجني

النداءُ السابقُ جارٍ على الأصل، ولكنّه يحملُ دلالةً شعوريةً تخرجُه عن مفهومِ النداءِ الحقيقي.

أ - لماذا يعدُّ هذا النداءُ جارياً على الأصل؟

ب - ما الغرضُ البلاغيّ منه؟

٤ - لماذا يعدُّ النداءُ غيرَ جارٍ على الأصلِ في قول الشاعر:

أيْ بلادي: في القلب مثواكِ مهما ... طال منفايَ عن ثراكِ الحبيبِ

٥ - وضّحِ الغرضَ البلاغيّ للنداءِ في كلّ مما يأتي:

أ - قولُ المتنبي في عتابِ سيفِ الدولة:

يا أعدلَ الناسِ إلا في معاملتي ... فيكَ الخصامُ وأنت الخصمُ والحكمُ

أعيذُها نظراتٍ منك صادقةً ... أنْ تحسبَ الشحمَ فيمن شحمُه ورمُ

ب - قولُ الشاعرِ في رثاءِ معنِ بن زائدةَ الشيباني:

أيا قبرَ معنٍ: كيفَ واريتَ جودَه ... وقدْ كانَ منه البرُّ والبحرُ مُترعا

جـ - قولُ مَن يناجي نفسَه:

يا قلبُ: ويحكَ، ما سمعتَ لناصحٍ ... لمّا ارتميتَ، ولا اتّقيتَ ملاما

٦ – اقرأ ما يأتي، ثم اخترْ ما يناسبُه من بينِ البدائلِ التي تليه:

يقولُ اللهُ تعالى على لسانِ موسى لفرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ۝﴾[1].

استخدامُ «يا» لنداءِ القريبِ في القولِ الكريمِ السابقِ يدلُّ على:

أ – تعظيمِ المخاطبِ لأنّه ملكٌ مرهوبُ الجانبِ.

ب – التخوّفُ من سوءِ عاقبةِ المخاطبِ.

جـ – تحقيرُ المخاطبِ لأنّ كفرَه قلّلَ من شأنِه في عينِ المتكلمِ.

٧ – نادِ والدَك في حضورِه مرة، وفي غيابِه مرة أخرى بما يليقُ بمكانتِه، مع ذكرِ سببِ اختيارِكَ لحرفِ النداءِ في كلِّ مرة.

....

(١) من الآية (١٠٢) من سورة الإسراء. (مثبورًا) أي صائرًا إلى هلاك.

أسلوب التمني

الأمثلة:

١ - قالَ الشاعر:

ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً فأخبرَه بما فعلَ المشيبُ

٢ - وقال آخر:

ليتَ الكواكبَ تدنو لي فأنظمَها عقودَ مدحٍ فما أرضى لكم كلمي

٣ - وقالَ ابن الرومي[1] في شهرِ رمضان:

فليتَ الليلَ فيه كانَ شهراً ومَرَّ نهارُه مرَّ السحابِ

....

٤ - قالَ تعالى على لسانِ قومِ موسى وقد رأوا قارونَ في زينتِهِ: ﴿ **يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ** ﴾[2].

٥ - وقالَ مروانُ بنُ أبي حفصة في رثاءِ معنِ بن زائدة:

فليتَ الشامتينَ بهِ فدوه وليتَ العمرَ مُدَّ بهِ فطالا

....

٦ - قالَ تعالى: ﴿ **لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا** ﴾[3].

٧ - وقالَ الشاعر:

عَلَّ الليالي التي أضنَتْ بفرقتِنا جسمي ستجمعُني يوماً وتجمعُهُ

٨ - وقالَ تعالى: ﴿ **فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ** ﴾[4].

---

(١) عُرف ابن الرومي بنهمه الشديد إلى الطعام.
(٢) من الآية (٧٩) من سورة القصص.
(٣) من الآية (١) من سورة الطلاق.
(٤) من الآية (٥٢) من سورة المائدة.



٩ – وقالَ الشاعر:

عسى فرجٌ يأتي به اللهُ إنّه ... له كلَّ يومٍ في خليقتِهِ أمر

....

١٠ – قالَ تعالى: ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ** ﴾[1].

١١ – وقالَ الشاعر:

أسِربَ القطا هل مَن يعيرُ جناحَه ... لعلّي إلى مَن قد هويتُ أطيرُ[2]؟

....

١٢ – قالَ تعالى على لسانِ المبلسين يومَ القيامة: ﴿ **فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ** ﴾[3].

١٣ – وقالَ على لسانِ المعذَّبين في النار: ﴿ **فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۝** ﴾[4].

١٤ – وقالَ الشاعر:

أيا منزلَيْ سلمى سلامٌ عليكما ... هل الأزمنُ اللاتي مَضَيْنَ رواجعُ

....

١٥ – قالَ تعالى على لسانِ الكافرين وقد كُبْكِبوا في النار: ﴿ **فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝** ﴾[5].

١٦ – وقالَ جرير:

ولّى الشبابُ حميدةً أيامُه ... لو كانَ ذلكَ يُشترى أو يرجعُ

---

(١) غافر (٣٦ – ٣٧).

(٢) القطا نوع من الطير يشبه الحمام، والمفرد قطاة.

(٣) من الآية (٥٣) من سورة الأعراف.

(٤) من الآية (١١) من سورة غافر.

(٥) الشعراء (١٠٢ – ١٠٣).

١٧ - وقالَ مسلمُ بنُ الوليد:

واهاً [1] لأيامِ الصِّبا وزمانِه ... لو كانَ أسعفَ بالمقامِ قليلا

١٨ - قالَ الشاعر:

ليتَ الملوكَ على الأقدارِ معطيةٌ ... فلمْ يكنْ لدنيءٍ عندَها طمعُ

١٩ - وقالَ المتنبي:

فيا ليتَ ما بيني وبينَ أحبتي ... من البعدِ ما بيني وبينَ المصائبِ

٢٠ - وقالَ في سيفِ الدولة:

إنْ كانَ يجمعُنا حُبٌّ لغرّتِه ... فليتَ أنّا بقدرِ الحبِّ نقتسمُ

البيان:

انظر في الأمثلةِ الثلاثةِ الأولى تجدِ الشعراءَ فيها يطلبون أشياءَ مستحيلة؛ فالشاعرُ في المثالِ الأولِ يطلبُ عودةَ الشبابِ بعدَ أن فعلَ به المشيبُ ما فعل، وهو بذلك يطلبُ أمراً مستحيلاً لا ليُجابَ إلى طلبِه بل ليُظهرَ شدةَ حاجتِه إلى ما يتمناه من عودةِ عنفوانِ الشّبابِ بعدَ أن أوهنَه المشيب. والشاعرُ في المثالِ الثاني يعلمُ أنّ الكواكبَ لن تدنوَ إليه، وليسَ في مقدورِه أن ينظمَها عقودَ مدحٍ، فهو يطلبُ مستحيلاً لا ليتحققَ بل ليعبرَ بطلبِه عن تقديرِه العالي لممدوحِه. وابنُ الرومي في المثالِ الأخيرِ يطلبُ ما يعلمُ أنّه لن يحدث، ولكنّه يعلنُ بطلبِه هذا عن ضيقِه بالصيامِ الذي يحرمُه لذةَ الطعام.

فالشعراءُ الثلاثةُ يطلبون ما لا يمكنُ حدوثُه في الواقع، وقد استعملوا لذلكَ الحرفَ (ليت).

وفي المثالين: الرابعِ، والخامسِ نرى قومَ موسى وقد رأوا قارونَ في زينتِه يريدون أنْ يكونَ لهم مثلُ ما أوتيَ قارون، وهو أمرٌ صعبُ المنال؛ فقد آتى اللهُ قارونَ من الكنوزِ ما إنّ مفاتحَه

---

(1) واهاً: كلمة تعجب، والمعنى: ما أطيب أيام الصبا.

لتنوءُ بالعصبةِ أولي القوة. فإذا كان إيتاءُ القومِ مثلَ ما أوتي قارونُ ليسَ مستحيلاً فإنّه بعيدُ المنال. ومروانُ بنُ أبي حفصةَ يودّ لو أنّ العمرَ قد طالَ بمعنِ بنِ زائدة، وأنّ الموتَ قد نزلَ بالشامتين به فداءً له. وهو بذلك يطلبُ أمراً بعيدَ المنال.

فالأمثلةُ الخمسةُ الأولى يدلّ كلّ منها على طلب، وهذا الطلبُ كانَ مستحيلاً في الأمثلةِ الثلاثةِ الأولى وصعبَ المنالِ في المثالين: الرابعِ، والخامسِ. وحين يكونُ الطلبُ مستحيلاً أو صعبَ المنالِ يسمى تمنّياً. وأداةُ التمني هي (ليت).

تأملِ الأمثلةَ من السادسِ إلى التاسعِ تجد أن كلاً منها يدلّ على طلبِ أمرٍ محبوب، وأنّ هذا الأمر يُرجى حصولُه؛ فالمثالُ الأولُ خاتمةُ آيةٍ جاءَ فيها نهي عن إخراجِ المطلقاتِ من بيوتهن في أثناءِ العدةِ إلا أنْ يأتين بفاحشةٍ مبيّنة. وإحداثُ اللهِ أمراً بعدَ وقوعِ الطلاقِ فيه خيرُ الزوجين ليسَ أمراً مستحيلاً ولا صعبَ المنالِ بل هو أمرٌ يرجى حصولُه. والشاعرُ في المثالِ السابعِ يرجو أن تجمعَه الليالي بمنْ أضناه فراقُه، وهذا أمرٌ لا يمتنعُ حدوثُه، ولا يبعدُ منالُه. وطلبُ أمرٍ يرجى حصولُه يسمى ترجّياً، وقد كانت أداتُه في المثالين «لعل».

وفي المثالين: الثامنِ، والتاسعِ طلبُ أمرٍ محبوبٍ يرجى حصولُه كذلك؛ فإيتانُ اللهِ بالفتحِ أو أمرٍ من عندِه، وإتيانُه بالفرجِ أمورٌ سهلةُ المنالِ لأنّها بيدِ اللهِ الذي يقولُ للشيءِ كن فيكون. فالطلبُ في المثالين ترجٍّ، ولكنْ أداتُه فيها كانت «عسى»[1].

نستخلصُ من مناقشةِ الأمثلةِ التسعةِ الأولى أنّ التمني يكونُ بليت، وأنّ الترجي يكونُ بلعل وعسى. ولكنّ الأمرَ لا يكونُ كذلك دائماً؛ فقد تستعملُ (ليت) للترجي، وقد تستعملُ (لعل) للتمني، كما يستعملُ في التمني أدواتٌ أخرى لأغراضٍ بلاغيةٍ كما يتضحُ من مناقشةِ الأمثلةِ من العاشرِ إلى العشرين.

انظر في المثالين: العاشرِ، والحادي عشر تجد فرعونَ في المثالِ العاشرِ يطلبُ مستحيلاً،

---

(١) عسى فعل، ولعل حرف. ولعسى أخوات هما (حرى) و(اخلولق).

فطلبُه تمنٍّ ولكنّه استعملَ فيه (لعل) التي للترجي لإبرازِ المتمنّى المستحيلِ في صورةِ الممكنِ قريبِ الحصولِ لشدةِ الحرصِ عليه وفرطِ تعلقِه به. فقد أقامَ موسى عليه الحجة، ولم يعد أمامَه من سبيل لتكذيبِ الرسولِ إلا أنْ يرقى في السماءِ ليعودَ قائلاً لموسى لم أرَ ربّك الذي تدّعي وجودَه، فهو حريصٌ على أنْ يبلغَ أسبابَ السماواتِ متعلقٌ بتحقيقِ غايتِه منها، ولذا أرادَ طلبَه من الممكنِ قريبِ الحصولِ فاستعملَ في مقامِ التمني (لعل) التي تكونُ للترجي.

والشاعرُ في المثالِ الحادي عشر يتمنى أنْ تعيرَه قطاةٌ جناحَها ليطيرَ به إلى مَنْ يهوى، وهذا أمرٌ ممتنعُ الحدوث، ولكنّ الشاعرَ أرادَه ممكناً لكمالِ عنايتِه به وشوقِه إليه. وقد استعملَ في ذلك (هل) و(لعل).

وإذا كانَ حرفُ الاستفهامِ (هل) يستعملُ للتصديقِ فإنّه بذلك يسألُ القطا إنْ كانَ من بين سربِه واحدةٌ تعيرُه جناحَها. وإذا كانت الإجابةُ عن سؤالٍ بهل تكونُ بنعم أو بلا فإنَّ الشاعرَ يريدُها بالإثباتِ لقولِه بعدَها: «لعلّي إلى مَن قد هويتُ أطيرُ» و(لعل) لا تكونُ بأصلِ وضعِها إلا للترجي.

وما جعلَ الشاعرُ المستحيلَ كالممكنِ إلا من شدةِ تعلّقِه به ورغبتِه في حدوثه. فهل ولعل تستعملانِ في التمني لإبرازِ المتمنّى في صورةِ الممكنِ لكمالِ العنايةِ به والشوقِ إليه أي لشدةِ الحرصِ عليه وفرطِ التعلقِ به.

وكذلك الأمثلةُ من الثاني عشر إلى الرابع عشر جميعُها للتمني لأنّ المطلوبَ بها ليس قريبَ المنال، ولكنّ المتكلمين بها عدلوا عن حرفِ التمني إلى حرفِ استفهام للتصديقِ أملاً في إجابةٍ بالإثباتِ لشدةِ حرصِهم على وجودِ شفيعٍ يشفعُ للمبلسين[1]، وسبيلٍ لخروجِ المعذّبين من النار، ورجوعِ أزمانِ السرورِ لمن تبدّلت حالُه على التوالي.

أما الأمثلةُ من الخامس عشر إلى السابع عشر فقد استُعملَ فيها للتمني الحرفُ (لو) لبيانِ أنّ

---

(١) المبلس من انقطعت حجته فأصيب بالحيرة والوجوم.



المتمنّى بعيدٌ نادرُ الحدوثِ لأنّ المطلوبَ بها يكونُ غيرَ مطموعٍ في نيله؛ فرجوعُ أهلِ النارِ إلى الدنيا أمرٌ ممتنع، وكذلك رجوع الشبابِ أو شراؤه، أو امتدادُ زمانِ الصبا إلى ما بعدَه من العمر.

وكما استُعملت (لعل) للتمني خلافاً للأصل للدلالةِ على التعلّقِ بالمطلوبِ والحرصِ عليه - تستعملُ (ليت) للترجي خلافاً للأصلِ لإبرازِ المرجوّ في صورةِ المستحيلِ مبالغةً في بعدِ نيلِه كما يتضحُ من الأمثلةِ الثلاثةِ الأخيرةِ (من الثامن عشر إلى العشرين)؛ فبذلُ الملوكِ عطاياهم وفقَ أقدارِ آخذيها ليس أمراً ممتنعاً ولا بعيدَ المنال، وكذلك قربُ الأحبةِ من الشاعر، وإنزالُ محبي سيفِ الدولةِ منازلَ تتفاوتُ فيما بينهم بقدرِ ما يضمره كلّ منهم من الحبّ للأمير. كلّ ذلك من الأمورِ الممكنةِ، ولكنّ الشعراء جعلوا ترجّيها تمنّياً للمبالغةِ في بعدِ نيلها.

الخلاصة:

١ - التمني طلبُ أمرٍ محبوبٍ لا يرجى حصولُه، إمّا لكونِه مستحيلاً، وإمّا لكونِه ممكناً غيرَ مطموعٍ في نيله.

٢ - اللفظ الموضوعُ للتمني (ليت)، وقد يُتمنى بهل، ولو، ولعل لغرضٍ بلاغي.

٣ - إذا كان الأمرُ المحبوبُ مما يرجى حصوله كان طلبُه ترجياً، ويُعبَّرُ فيه بلعل أو عسى، وقد تستعملُ فيه (ليت) لغرضٍ بلاغي.

٤ - الغرضُ البلاغيّ في (هل) و(لعل) هو إبرازُ المتمنّى في صورةِ الممكنِ لكمالِ العنايةِ به والتشوّق إليه، والغرضُ في (لو) هو الإشعارُ بعزةِ المتمنّى وندرتِه إذْ إنّ (لو) تدل بأصل وضعها على امتناع الجوابِ لامتناع الشرط.

٥ - الغرضُ في استعمالِ (ليت) للترجي هو إبرازُ المرجوّ في صورةِ المستحيلِ مبالغةً في بعدِ نيله.

١ – لماذا يُعدُّ التمني حقيقياً في الأمثلةِ الآتية:

أ – يقولُ اللهُ تعالى على لسانِ الظالمِ وقد عضَّ أصابعَ الندمِ يومَ القيامة: ﴿ **يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا** ﴾[١].

ب – ويقولُ تعالى على لسانِ من يعشو عن ذكرِ الرحمن في الدنيا يخاطبُ قرينَه، وقد أحضرا معاً يومَ القيامة: ﴿ **يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ** ﴾[٢].

جـ – يقولُ المتنبي في رثاءِ أختِ سيفِ الدولة:

فليتَ طالعةَ الشمسين غائبةٌ ... وليتَ غائبةَ الشمسين لم تغبِ[٣]

٢ – بين ما تفيدُه «ليت» في البيتِ الآتي مع ذكرِ السبب:

يقول المتنبي:

فليتَ هوى الأحبةِ كانَ عدلاً ... فحمّلَ كلَّ قلبٍ ما أطاقا

٣ – لماذا كانت «عسى» للترجي في كلِّ مما يأتي:

أ – يقولُ اللهُ تعالى على لسانِ أصحابِ الجنةِ الذين أقسموا ألا يدخلَها عليهم مسكينٌ بعد أن رأوا جنتَهم وقد أحيطَ بها فأصبحت كالصريم: ﴿ **عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ** ﴾[٤].

ب – ويقولُ تعالى بعدَ أنْ أمرَ رسولَه بالقتالِ وتحريضِ المؤمنين عليه: ﴿ **عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ** ﴾[٥].

٤ – بين ما تفيدُه «هل» في قولِ ابن الرومي:

أيامَ الهوى، هل مواضيكِ عُوَّدُ؟ ... وهل لشبابٍ ضلَّ بالأمسِ مَنْشَدُ؟

٥ – تصوَّر شيئاً محبباً إليك يصعبُ الوصولُ إليه، وعبّر عنه بأسلوبك مستخدماً (لعل – هل – لو).

---

(١) من الآية (٢٧) من سورة الفرقان.
(٢) من الآية (٣٨) من سورة الزخرف.
(٣) جعل المرثية وشمس النهار شمسين.
(٤) القلم (٣٢).
(٥) من الآية (٨٤) من سورة النساء.



المراجع

١ - العمدة لابن رشيق القيرواني.

٢ - الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني.

٣ - المثل السائر لضياء الدين بن الأثير.

٤ - البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين.

٥ - علم المعاني للدكتور عبدالعزيز عتيق.

أدوع بمركز المعلومات التربوية تحت رقم (١٩٩) بتاريخ ١٦/ ٥/ ٢٠٠١

